

النَّجْمُ وَالشَّافِي

فِي أَشْرَفِ الْمَنَاقِبِ

أَحْسَنُ بْنُ حَبِيبٍ

تَحْقِيقُ

الدُّرَّةُ بْنُ طَغْيِ الْفَجِيِّ

دار الحديث

القاهرة

النَّجْمُ وَالشَّافِئُ

فِي أَشْرَفِ الْمَنَاقِبِ

حقوق الطبع محفوظة للناس

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

رقم الإيداع ١١٣٥٥ / ١٩٩٥

الترقيم الدولي I.S.B.N

977-5227-7-2

طبع. نشر. توزيع



١٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر

تليفون: ٥١٨٧١٩ - ٥١٩٦٩٧ - ٥١٣٠٣٦ فاكس: ٥١٩٦٩٧

النَّجْمُ وَالشَّافِي

فِي أَشْرَفِ الْمَنَاقِبِ

أَحْسَنُ بْنُ حَبِيبٍ

تَحْقِيقُ

أَبُو طَلْحَةَ الْفُجَيِّ

دار الطبع

القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقريظ

بقلم الأستاذ الدكتور العالم الجليل بدوى طبانه

التعيمات الطّيبات للأفخ الكريم ، المؤمن بربه ، الناصر لدينه ،
الناشر لذخائره النافعة ، ودُرّره الفريدة ، ليقرن صلاح الأبدان الذى
أوفى فى صناعته على الغاية بطب الأرواح يشفى به صدور قوم
مؤمنين والحمد لله رب العالمين .

بدوى طبانه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ

مقدمة المحقق

الحمد لله الذى برأ النَّسَمَ ، وأفاض النِّعمَ ، وأوجد الأشياء من بعد
العدم ، وخلق الأنوار والظُّلُم .
وأصلى وأسلم على السَّراج الوهَّاج ، صاحب الإسراء والمعراج ، صفوته
من العباد ، وشفيع الخلائق فى المعاد ، صاحب المقام المحمود ، والحوض
المورود ، من تناسخته أرحامٌ مُطَهَّرَةٌ ، وأصلابٌ مُكْرَمَةٌ ، فأدَّتْه طاهراً
نِجاره^(١) ، زاكياً نصابه ، مُتَوَسِّماً نور النبوة بين عينيه ، مُعَايِناً خاتم النبوة
بين كتفيه ، وأصحابه ربه بالمعجزات الباهرات ، وشيَّعه بالآيات النيرات ،
وأرسله إلى الثقلين بشيراً ونزيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وأذل
لوطاته الشرك والأباطيل ، حتى علا « نجمة الثاقب » والنهار غير محتاج إلى
دليل ، صلى الله عليه وعلى آله صلاةٌ مستمرة الدوام ، جديدة على مرِّ
الليالى والأيام .

(١) النِّجار : الحُصْب .

وبعد . . . فإنه لما منَّ الله علىَّ بتحقيق « المقتفى من سيرة المصطفى » لابن حبيب الحلبي ، رجوت الله أن أتبعه بـ « النجم الثاقب » فى مناقب النبی الهاشمی ، إذ الحديث عن سيرته ومناقبه ﷺ ذو شجون ، وهو المخصوص بقوله ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ بيد أن الكتاب لصغر حجمه ، ووفور علمه ، قد بلغ فى الإيجاز إلى حدِّ الإلغاز ، فصرتُ فى الليل والنهار سميره ، حتى أسرَّ لى بسرِّه وضميره ، وأطلعنى على حوره المقصورات فى الخيام ، وكشف لى عن وجوه مُخَدَّراته اللثام .

والله أسأل أن يلهمنى السداد ، وأن ينفع بهذا السُّفر العباد ، وأن يجعلنى من خدام جناب نبينا الأزهر ، وأن يسقنى من حوضه الشهير بالكوثر ، كما أدعوه أن يعفو عن ذلاتى ، ويسمَح عن هفواتى ، فإنى متطفل على ذلك ، ولست من فرسان تلك الممالك ، ولكنى استمد من طَوْلِه ، واستعدَّ بقوته وحوله ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

دكتور

القاهرة فى :

مصطفى محمد حسين الذهبى

١٤ من جمادى الأولى ١٤١٦ هـ



ترجمة المؤلف (*)

الإمام المسند الأديب المؤرخ

الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب

(٧١٠ - ٧٧٩ هـ)

اسمه وكنيته ولقبه ونسبه :

هو الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن شويخ بن عمر ، بدر الدين ، أبو محمد وأبو طاهر ، الدمشقي الأصل ، الحلبي المولد والنسبة ، الشافعي المذهب .

مولده ونشأته العلمية ومسموعاته :

ولد الحسن بن عمر بن حبيب بحلب الشهباء في شعبان سنة عشر وسبعمائة ، ونشأ في بيئة علمية دينية ، فأبوه هو الإمام العالم الحافظ عمر ابن الحسن بن عمر بن حبيب ، زين الدين ، الشافعي (٦٦٣ - ٧٢٦ هـ) ، سمع من مشاهير عصره حتى خرج له الحافظ الذهبي مشيخة فيها أكثر من

(*) مصادر الترجمة :

المنهل الصافي لابن تغري بردي (١١٥ / ٥) ، أنباء الغمر لابن حجر (١٦٣ / ١) ، الوافي بالوفيات للصفدي (١٩٥ / ١٢) ، البدر الطالع للشوكاني (٢٠٥ / ١) ، النجوم الزاهرة للسيوطي (١٨٩ / ١١) ، شذرات الذهب لابن العماد (٢٦٢ / ٦) ، الدرر الكامنة لابن حجر (١١٣ / ٢) ، درة الأسلاك لابن حبيب (ص ٤٩٦ من مخطوط دار الكتب المصرية) ، كشف الظنون لحجي خليفة (٧٣٧ / ١) ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهاب (١ / ٨٨) ، الأعلام للزركلي (٢٢٦ / ٢) ، إعلام النبلاء للطباخ (٥ / ٦٦) ، مقدمة التحقيق لكتاب «تذكرة النبيه» للدكتور محمد أمين ، وهي ترجمة دقيقة وافية شاملة (١ / ٧ - ٢٧) .

خمسمائة شيخ ، وسمع عليه بحلب الكثيرون ، من بينهم أولاده الخمسة :
الحسن ، ومحمد ، والحسين ، وعلى ، وأحمد .

وكان الشيخ عمر حريصاً على تنشئة أولاده نشأة علمية دينية ، وكثيراً
ما صحبتهم معه لحضور مجالس العلم .

وتذكر لنا المصادر أن ابن حبيب أُحْضِرَ في الشهر العاشر من عمره على
إبراهيم وعبد الرحمن بن صالح العجمي لسماع جزء من حديث أصحاب
أبي على الحداد ، كما أُحْضِرَ على بيارس العديمي لسماع « المصافحة »
وغيرها ، وسمع كتاب « الدعاء » للمحاميلي ، وكتاب « المواعظ » لأبي عبيد
القاسم بن سلام ، وكتاب « السرائر » لأبي هلال العسكري على الشيخ
شمس الدين أحمد بن عبد الرحمن بن العجمي .

وفي الخامسة من عمره سمع ابن حبيب « مسند أبي داود الطيالسي » على
الرئيس تاج الدين أبي المكارم محمد بن أحمد النصيبي الحلبي الشافعي ،
وكذلك سمع « مشيخة ابن كليب » على الشيخ شمس الدين بن محمد بن
إسحاق الجعفرى الحلبي .

وقد انتهز الحسن بن حبيب فرصة قدوم الكثير من العلماء والأدباء إلى
حلب - والتي كانت تعتبر في ذلك الوقت من أشهر المراكز الحضارية بالشام -
فتردد على مجالسهم العلمية للإفادة منهم .

ومن هؤلاء الذين وفدوا على حلب وتوطدت الصداقة بينهم وبين ابن
حبيب وأفاد منهم ، وأجاز بعضهم له ، الشيخ بهاء الدين محمد بن على بن
سعيد الأنصارى الشافعي ، وابن نباتة المصرى الذى تلقى عنه الأدب ،
والشيخ الإمام صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى ، والشيخ الإمام

الأديب المحدث محمد بن جابر الوادى آشى الملكى .

رحلاته العلمية :

توجه ابن حبيب إلى الحجاز من أجل الحج والزيارة وطلب العلم مرتين ،
الأولى : سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، بصحبة أخويه كمال الدين محمد
وشهاب الدين أحمد ووالدته ، والثانية : سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ،
بصحبة أخيه كمال الدين محمد وبعض أصدقائه ، وفى المدينة المنورة - فى
زيارته الأولى - التقى بالشيخ أبى البركات أيمن بن محمد السعدى الأندلسى
التونسى حيث سمع منه نظمه وفوائده .

وفى سنة ست وثلاثين وسبعمائة رحل ابن حبيب إلى القاهرة حيث مكث
بها ستة أشهر اجتمع خلالها بطائفة من أهل العلم والحديث ، وسمع منهم ؛
أمثال العلامة بهاء الدين محمد بن على بن سعيد الأنصارى الشافعى الشهير
بابن إمام المشهد ، والشيخ المسند أمين الدين أبو الفضل عبد المحسن بن
محمد بن على بن الصابونى المصرى ، والشيخ الفقيه شرف الدين أبو عبد
الله محمد بن الحسن بن إبراهيم الأنصارى الشافعى ، والشيخ شمس الدين
أبو عبد الله محمد بن غالى بن نجم بن عبد العزيز الدمياطى القاهرى المعروف
بابن الشماع ، والشيخ عز الدين أبو محمد عبد المؤمن بن عبد الرحمن بن
محمد بن عمر العجمى الشافعى .

علاقته بمؤرخى عصره :

كما عاصر ابن حبيب عدداً كبيراً من مؤرخى مصر والشام والعراق ،
وارتبط معهم بعلاقات طيبة أمثال : ابن فضل الله العمرى ، وابن الوردى ،
وابن أبيك الصفدى ، وتاج الدين السبكى ، وعلم الدين البرزالى .

ثناء العلماء عليه :

قال ابن حجر فى « الدرر الكامنة » :

وصنف « درة الأسلاك فى دولة الأتراك » سجع كله يدل على اطلاع زائد
واقترار على النظم . . وكان فاضلاً كَيْساً صحيح النقل .

وقال ابن تغرى بردى فى « المنهل الصافى » :

وكان له فضل ومشاركة جيدة ، واليد الطولى فى النظم والنثر ، وله
سماع ورواية ، ومؤلفات مفيدة .

وقال عنه العينى فى « عقد الجمان » :

وله شعر رائق ونثر فائق كالشهد فى حلاوته والدر فى طراوته ، فاق أدباء
زمانه ، وشهد له سلفه بالتقدم على أقرانه .

وقال ابن قاضى شعبة فى « طبقات الشافعية » :

المسند الأديب ، المنشئ المؤرخ ، قال الشعر الحسن . . . وله كثير من
التصانيف اللطاف .

وظائفه ووفاته :

بأشر ابن حبيب كتابة الحكم العزيز ، وكتابة الإنشاء ، والتوقيع الحكيم ،
وغير ذلك من الوظائف الدينية ، وذلك فى كل من دمشق ، وطرابلس ،
وحلب ، وأفاد من ذلك كثيراً فى ثقافته ، ثم تولى ابن حبيب عن الوظائف
العامة وانقطع فى آخر عمره بمنزله حتى وفاته فى ٢١ ربيع الآخر سنة تسع
وسبعين وسبعمائة ، ودفن بترية أرغون خارج باب المقام .

مؤلفاته :

ترك ابن حبيب ثروة كبيرة من المصنفات فى شتى العلوم الدينية والأدبية والتاريخية ، لم يطبع منها إلا القليل ، وما بقى منها مخطوطاً فى المكتبات كثير ينتظر من يخرج به إلى النور ، فضلاً عن المفقود منها والذي لا نعرف عنه أكثر من عنوانه ، ومن أشهر مؤلفاته :

١ - أخبار الدول وتذكّار الأول ، ويعرف بـ : جبهة الأخبار فى ملوك الأمصار (مطبوع) .

٢ - إرشاد السامع والقارى المنتقى من صحيح البخارى .

٣ - التوشيح فى شرح الحاوى .

٤ - درة الأسلاك فى دولة الأتراك .

٥ - دليل المجتاز بأرض الحجاز ، وتعرف أيضاً بـ : رحلة الشيخ حبيب .

٦ - الشذور : وهو مجلد لطيف من مقطعاته الشعرية .

٧ - تشنيف السامع فى وصف الجامع : (فى وصف جامع بنى أمية والشام وأخبار دمشق) .

٨ - نسيم الصبا : (وقد طبع هذا الكتاب مراراً) .

٩ - الكوكب الوقاد من كتاب الاعتقاد : انتقاه من كتاب « الاعتقاد » للإمام البيهقى .

١٠ - معانى أهل البيان من وفيات الأعيان (لابن خلكان) .

١١ - الفوائد المنتقاه من تاريخ صاحب حماء .

- ١٢ - نفحات الأرج من كتاب « تبصرة الفرج » لابن الجوزى .
- ١٣ - تذكرة النبیه فی أيام المنصور وبنیه (مطبوع فی ثلاثة مجلدات بتحقیق : دكتور محمد محمد أمين) .
- ١٤ - المقتفی من سيرة المصطفى (طبع بتحقیقنا فی دار الحديث بالقاهرة) .
- ١٥ - النجم الثاقب فی أشرف المناقب : طبع بدون تحقیق ضمن «جواهر البحار فی مناقب النبی المختار» للعلامة النبهانی ، وهو الكتاب الذى نقدمه اليوم للقارئ فی ثوبه الجديد .



وصف المخطوط

مخطوط « النجم الثاقب فى أشرف المناقب » التى عثرت عليها نسخة وحيدة^(١) ، وهى محفوظة فى مكتبة « ولى الدين » تحت رقم ١٨٢٨ (٩) ، وعلى صفحتها الأولى « كتاب النجم الثاقب فى أشرف المناقب ، للشيخ الإمام العلامة بدر الدين حسن بن حبيب ، تغمدہ اللہ برحمته ، وأسكنہ بحبوة جنتہ ، بمنہ وفضله وكرمه » .

والمخطوطة تقع فى ٣٠ ورقة ، ومسطرتها ٢٥ مسطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر ١٣ كلمة ، وكتبت بخط نسخ جيد ، وتاريخ كتابة هذه المخطوطة هو عام ٨٠٧ هـ ؛ أى قريبة عهد بالمؤلف .



(١) توجد نسخة على ميكرو فيلم بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٥٢ ، عن نسخة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، كما توجد صورة لهذه النسخة أيضاً فى مكتبة الأمبروزيانا ولم أتمكن من الحصول عليهما .

منهج التحقيق

يتلخص منهج تحقيق هذا الكتاب فى النقاط التالية :

- ١ - شرعت فى نسخ المخطوطة ، وراعى فى النسخ قواعد الرسم الإملائى ، وحيث أنه لا يوجد تحت يدى نسخة أخرى من هذه المخطوطة حتى يمكن الاستعانة بها ومقابلة نسختنا بها ، فقد اعتمدت فى تقويم النص على مقابله بالمطبوع ضمن « جواهر البحار » .
- ٢ - عزوت الآيات الكريمة إلى سورها ، وبينت أرقامها ، ورسمتها بالرسم الإملائى تسهيلاً فى قراءتها .
- ٣ - خرّجت الأحاديث النبوية التى تضمنها الكتاب من أمهات كتب السنة ، وكذلك عزوت ما ورد من خصائص النبى ﷺ ومناقبه إلى مصادرها الأصلية .
- ٤ - عُنيت بضبط الآيات القرآنية والشعر وكل ما يحتمل اللبس .
- ٥ - عُنيت بشرح الغريب من الألفاظ الغامضة الواردة فى النص وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب اللغة ، وكتب غريب الحديث .
- ٦ - اكتفيت بعمل الفهارس الآتية :
 - أ - فهرس للآيات القرآنية .
 - ب - فهرس لمصادر التحقيق .
 - ج - فهرس لموضوعات المقدمة والتحقيق .



الله الرحمن الرحيم . وبه اعاد
 الربوبه الرباني الحبيب المبدئي المبدى الفاتح العلم والبر والبر والبر والبر
 غلق من سبيلنا كما توفيقه حيث جعل لنا لانه هو الصمد والعالى على
 رابع وتوحيده الامام ١٠ الرضا والراى والرحمة والمحبوب لكشف العلم والظلم
 الذي تم سعيه المعترف والمعترب محمد عبده الله من عبد المطلب
 وعلى الى الارزاق والاضحاه الاخير بما جرت الانظار وتوحيده السبل والاهل
 ونعماء محمد اوزاق الفتح من انصارها وزائق مشتمل على شمس ضلاله
 الطوبى من سبيلنا في الايمان والحق خضاد خالده الوبى الترتب زاحله وطراف
 لجوشت ما حو الناصب ما وضع شفاه مهتمنا بالانشاطات السبلنا في
 تلك شمسه وشمسها النور في الترتب الماتية وعلى الله التوكل في
 المكاتبات والسكون وترتوله الشفع يوم لا نفع مال ولا ملجأ
 من دون الله لطلبه نواله الذي سها الفاتح الجيوش
 حيث ابدك احوال الذي مرغبت كلكا للمغيب القون
 كرس سبيلنا فارتكات الهوى او قس من السج والنجون
 صلحك الله بجهالة ما هزبت الريح قدوة العصور
 فصل في فضله وعظمته
 اعلم وفسنا الله والياك واتجنتك فكله الجليل وحداك ان السمع لله
 عليه وسلم اصل البشر على الاطلاق والى تسليده في اوله ادم اوله طاهر
 الاشراف والاشراق والى اربع اربعه من ربه والى ربه والى ربه من ربه
 من علم الترتب والحق والى الله والى حقه من ربه وفسنا من ربه
 وعجايب كنهين وعنايتهم ونجته كرام الكرامة والى ربه من ربه
 وتسماته والى الله على ربه الامانه والى الامانه والى الامانه والى الامانه

وإنما من عليه من بين الناس ما عداكم من فضله على خاصته وإحسانه ^{سورة} عليه في مواضع من كتابه ونطق العرب بشرف شخصه وأبى بحجة ما بقي
الدين وتخلل له الأرض مسجداً طويلاً وألقى من نزل أبي وجهه الكريم تدعى
وسنورا وأجله الفناء ثم ودع به العظيم وبسته إلى أن يشكاه وكلامه
يتكلم له أنزل من جوارحه حقه ونزلته الشفاء ثم وارسله من بني النصارى وطوب
عنه الأدي والنزل عليه من الجنة كتبت الشفاء ثم على العرش وعلمه أسع من الجنة
والحال في وصفه والجنط وأعطاه أن لا يخرج منه ولا نسل أبداً بالثقل
والقصر تركت فيه كل خلق خشن ^{هـ}

تبارك من جاء ومن جاء حسن الخلق والخلق العظيم ^{هـ}

وشهد قوله وهو هذا حيث لا تضطر المستقيم ^{هـ}

وأعني أصله جنة أن من يخرج من طبقه تطيبهم ^{هـ}

وصنع لمن برحوه كعهدها وعرقه بأحباب الرئيس ^{هـ}

وأنه جوامع الحكمة وخزانة ملكه خزائن الفضل وقوادسة السنه جلع اللام ^{هـ}

والحال وأجلته على ذرة الثرى والكال وجس على الأقدار لصدمه وأنز ^{هـ}

أما نال من نفسه والزم منه بالدجل فطاعة وجئت على باع حسبه ^{هـ}

وعامة ربه على غلبه شبه له وقص الامان به والصلو عليه وسادة ^{هـ}

الملكه وأبرز الخيرات على يد المباركة وقربة وإدناه وأوحى إليه ونأجده ^{هـ}

وأوحى إليه من طبعه وأراه من آياته الكبري وكفهم وعظمه في الدنيا والآخرة ^{هـ}

وتعنته منصفه على باع الشرف ورفع رفته إلى أعلى العز والاعتز بالطاعة ^{هـ}

وأعنا الفاتحة وقلت له الأمان كما أطمعته على سائر الأدل والبلدة ^{هـ}

يعلمنا بالغا وكما أشفع عليه من العز والحق للباروك وأدركنا كثير من الناس ^{هـ}

وجاء من العزوب والنفائض وسواء هذا لركبته فادته فاحسن أدبته ^{هـ}

وعلمه ما لم يكن يعلم وأزنته إلى كل شكل وشكلهم وأعنف حياء وحيلهم ^{هـ}

علي محمد الخمار وعلى الصلوة المأثورة واليه واو لاده واجتهابه وعلى اذوا
 وطاعة واجتهابه وعلى الانتصار والاعمال وعلى النابغين لهم باحسان صلوة
 معروضة السلام المفضل بسم الله على الكرم والشريف والتعظيم والتبجيل
 يا خاتم الرسل ويا من له ظل على من ربحه ظليل
 يا معزنا خود ويا عز النذري يا صاحب القدر النبيلة النبيل
 يا من اذا امة قاصد يلقاه بالوجه الجلي الجليل
 كن شفيعا من ذنوبي فقد التيت منها تحت حمل ثقل
 وانظر لجلي واستغنى شربة من حوضك الحلي تروى العليل
 اني تطلعت على ما دحي وصفه عليك الاثير الاشيل
 اذ قلت في دينك ما قلته وهو قليل من كثير جزيل
 فاقبله مني وانتي به جارية جارية للجليل
 فصلك لا حصرة واصف ان الذراري حصها مستحل
 صفا عليك الله رب العلى والعرش ما هب التسم العليل
 والكرامة على فضلته وحسنه بنا الله ونعم الوكيل



خيرا ملازم الكاتب وانتهى سيرة النجم الثاقب بنيسر من ارشد الى المعرفة
 والهم وتوفيق من علم الانسان ما لم يعلم عليه توكلت واليه انيب وهو المستول
 في بلوغ الاموال اية قوت محبت قال مولفة عفا الله عنه يدات في انشائه
 بهم الاربعاء بالث جمادى الاخرة سنة ثلث وستين وبيع ما به وقرعت منه يوم
 الاحد من شهر شوال من السنة المذكورة والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا
 منه مباركا عليه كما يحب ربنا ويرضى وكما سعى لغزو وجهه وكرم حلاله وكما

هذا الكتاب من كتب
 مكتبة
 دار
 الخمار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله الولي الحميد ، المبدئ المعيد ، الفتاح العليم ، رب العرش العظيم ، الذي يخص من يشاء بمناجاته ، ويعلم حيث يجعل رسالاته ، والصلاة والسلام ، على رافع قواعد الإسلام ، والمرسل بالرفقة والرحمة ، والمبعوث لكشف الظلم والظلمة ، الذي عمّ بفضلُه المقرب والمغترِب ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلى آله الأبرار ، وأصحابه الأخيار ، ما جرت الأنهار ، وتعاقب الليل والنهار .

وبعد . . .

فهذه أوراق ، أئِنع ثمر أغصانها وراق ، وتشتمل على ثلاثين فصلا ، مُحَرَّزة في ميدان الإيمان للسبق خلا ، حاملة ألوية الشرف ، رافلة في مطارف الطُرف ، مفصحة بتعريف أحوال المصطفى ، منجحة قصد من اتَّبَعَ آثاره واقتفى ، نحوت بها نحو القاضي عياض^(١) في شفاءه ، مهتدياً

(١) هو الإمام العلامة الحافظ الأوحَد ، شيخ الإسلام ، القاضي أبو الفضل عياضُ بن موسى ابن عياض اليحصبي الأندلسي ، ثم السبتي المالكي ، جمع وألف ، وسارت بتصانيفه الركبان ، وتواليقة نفيسة ، وأجلُّها وأشرفها كتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » ، وقد شغف العلماء بهذا الكتاب ، ووضعوا له الشروح والخواشي [كشرح ملا علي القاري] ، وخرجوا أحاديثه [كالإمام السيوطي] ، وحرروا ألفاظه [كالإمام الشمني] ، =

بالناشطات السابحات فى فلك سمائه ، وسميتها : (النجم الثاقب فى
أشرف المناقب) وعلى الله أتوكل فى الحركة والسكون ، وبرسوله أشفعُ يوم
لا ينفع مالٌ ولا بنون .

يا خيرَ مبعوثٍ له طلعةٌ
نورُ الهدى منها أقرُّ العيونُ
جئتُ إلى ناديك أرجو الندى
من غيثٍ كفَّيكِ المغيثِ الهُتونُ
كنْ لى شفيعاً فارتكابُ الهوى
أوقعني بين الشَّجى والشَّجونُ
صلِّ عليك الله سبحانه
ما هزَّتْ الريحُ قدود الغصونُ



=والله يشبه على حسن قصده ، وينفع ب « شفائه » . توفى سنة ٥٤٤ هـ . (سير أعلام
النبلاء ٢٠ / ٢١٢ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٤٨٣ ، وتذكرة الحافظ ٤ / ١٣٠٤ ،
وشذرات الذهب ٤ / ١٣٨) .

فصل

فى فضله وعظيم قدره عند ربه ﷺ

اعلم وفقنا الله وإياك ، وأتحفك بهديّة الهداية وحيّاك ، أن رسول الله ﷺ أفضل البشر على الإطلاق^(١) ، وأنّ لسيادته على ولد آدم أدلّة ظاهرة الإشراف والإشراق ، وأنه أرفع الناس درجةً وأقربهم زلفى ، وأكرمهم منزلة عند من يعلم السرّ وأخفى ، وأن الله تعالى خصّه بمناقب عديدة ، وفضائل مفيدة ، ومحامد كثيرة ، ومآثر أثيرة ، ومنحه بكرائم الكرامة ، وأعلى في الدارين مقاله ومقامه ، وأظهر على يديه الآيات ، وأقام له الألوية والرايات ، وكمل فيه جميع المحاسن ، وأفاض عليه من عين العناية ماء غير آسن^(٢) ، وفضّلّه على خاصته وأحبابه ، وأثني عليه فى مواضع من كتابه ، ونصره بالرعب مسيرة شهر ، وأبقى معجزته ما بقى الدهر ، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً ، ولقى من نظر إلى وجهه الكريم نصرةً وسروراً ، وأحلّ له الغنائم ، ودفع به العظائم ، وبعثه إلى الناس كافة ، وكلاه بحفظة لم تزل من حوله حافّة ، ونوّله الشفاعة ، وأرسله بين يدي الساعة ، وصرف عنه الأذى وأنزل عليه من المنّة ، وكتب اسمه على العرش وعلى مواضع من الجنة^(٣) ، وأطال فى وصفه وأطنب ، وأعطاه أن لا تجوع أمته ولا تغلب ،

(١) وإلى هذا أشار الناظم :

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فمِلْ عن الشقاق

(٢) آسن : متغير لا يشرب .

(٣) انظر الخصائص الكبرى (١ / ٣٣) ، وسيرة ابن كثير (١ / ٣٢٩) ، والسيرة الشامية

(١ / ١٠٣) .

وأيدته بالبراعة واللسن ، وركَّب فيه كل خُلُق حسن .

تبارك من حمّاه ومن حبّاه

بحسن الخلق والخلق العظيم

وسدّد قوله وبه هدانا

جميعاً للصراط المستقيم

وأغنى أهل ملّته بدرّ

أتى من بحر منطقته نظيم

وصيّره لمن يرجوه كهفياً

وعرّفه بأصحاب الرقيم(*)

وآتاه جوامع الكلم وخوائمه ، وملّكه خوافي الفضل وقوادمه ، وألبسه خلع الجلال والجمال ، وأجلسه على ذروة الشرف والكمال ، وحضّ على الاقتداء بهديه ، وأمر بامتثال أمره ونهيه ، وألزم بريته بالدخول في طاعته ، وحثّ علي اتباع سنته وجماعته ، ونبّه على علوّ شأنه لديه ، وفرض الإيمان به والصلاة عليه ، وأيده بالملائكة ، وأبرز الخيرات على يده المباركة ، وقربه وأدناه ، وأوحى إليه وناجاه ، وأراه من الآيات الكبرى ، وكرّمه وعظّمه في الدنيا والأخرى ، ونصب منصبه على بقاع الشرف ، ورفع رتبته إلى أعلى الغرف ، وأعزه بالطاعة ، وأغناه بالقناعة ، وقلّب له الأعيان ، وأظهر دينه على سائر الأديان ، وأطلعه على سائر المعارف ، وأسبغ عليه من القبول أحسن المطارف^(٤) ، وأولاه كثيراً من الخصائص ، وحمّاه من العيوب

(٤) المطارف : جمع المطرف : رداء أو ثوب من خز مربّع ذو أعلام .

(*) الرقيم هو اللوح الذي كتب فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم .

والنقائص ، وسوَّاهُ فعدَّلَ تركيبه ، وأدَّبه فأحسن تأديبه ، وعَلَّمه ما لم يكن يعلم ، وأرشدَه إلى حلِّ كلِّ مُشْكِلٍ ومُبْهِمٍ ، واتَّخذَه حبيباً وخليلاً ، وأحلَّه من دار السعادة محلاً جليلاً ، وأَناله من حاصل حُبِّ الحب غايةَ المطلوب ، وغفرله الماضي والمستقبل إذ المحبوب لا يؤاخذُ بالذنوب .

هو الحبيبُ الذي أنوارُ طلعتَه

تَخْفَى إذا عَايَنَتْهَا الشمس والقمرُ

هو الإمام الذي مُذْ أَمَّ طالعُه

سُرَّ الزمانُ به واستبشرَ البَشَرُ

قد خُصَّ بالخُلَّةِ المأنوسِ معهدَها

وبالمحبةِ ممن أمرُه قدرُ

لا غَرَوَ إن عادَ بالغفرانِ مُغْتَبِطاً

إن الذنوبَ من المحبوبِ تُغْتَفَرُ

ونصَّ على وجوب توقيره وبره ، وحكم بلزوم نصحه وتعظيم قدره ، وجَبَلَه على الصيانة والعفاف ، وعدل به ميزان العدل والإنصاف ، وزَيَّن به الوجود ، وقلَّده بعقود العهود ، وأفرده بإيداع سره المصون ، وعضَّده بقرآن كريم في كتاب مكنون ، وسَمَّاهُ بجُملة من أسمائه ، وختم بمسكه رحيق أنبيائه ، ونوَّه برفعة مكانته وشرف مَحْتَدَه^(٥) ، وأنزله منزلاً فاق الأفق وعلا علي فرَّق فرَّقَه^(٦) ، ومنح جانبَه العزيزَ لينا وذاته الكريمة لطفاً ، وفتح به

(٥) مَحْتَدَه : أصله .

(٦) الفرَّقْدُ : نجم قريب من القطب الشمالى ثابت الموقع تقريباً ، ولذا يُهْتَدَى به ، وهو

المسمى : النجم القطبى .

أعيناً عمياً وآذاناً صمّاً وقلوباً غُلْفاً ، ورقى به أمته إلى أرفع الدرج ، ولم يجعل عليه ولا عليهم فى الدين من حَرَجٍ ، وعرفه بما أخرج لعباده من زينته ، وأوجب له النبوة وآدمٌ مُنْجَدِلٌ فى طينته^(٧) ، ولم يبعث نبياً إلا ذكر له نعتة ومسلكه ، وأخذ عليه الميثاق بالإيمان به ونصره إن أدركه ، ولم يعط أحدٌ من الأنبياء فضيلة مستفادة ، إلا وقد أعطاه مثلها وزيادة ، وأجري عليه من مواد الفضل ما توقف عند مجاراته الغيث وتجمد ، قال جبريل : قلَّبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أرَ رجلاً مثل محمد^(٨) .

يا راغباً فى حصر فضل محمدٍ

خَفِّضْ عليك فضله لا يحصرُ

إن قلت مثل الرَّمْلِ أو مثل الحِصَا

أو مثل قطر الغيث قلنا أكثرُ

أكرمُ به مولىً علياً قَدْرُهُ

متقدماً كلُّ له يتأخرُ

ذا رتبةٍ عند الإله عَظِيمَةٍ

معروفها بين الورى لا يُنكرُ

صَلَّى عليه الله ما هبَّ الصَّبَا

من نحو روضته الخطيرة يَخْطُرُ^(٩)

(٧) انظر الحديث فى مستدرک الحاكم (٤١٨/٢ ، ٦٠٠) ، ومسند أحمد (١٢٧/٤) ،

ودلائل النبوة للبيهقى (١ / ٨٠) ومجمع الزوائد (٢٢٣/٨) .

(٨) عزاه فى مجمع الزوائد إلى الطبرانى فى الأوسط وقال : فيه موسى بن عبدة الرىذى ،

وهو ضعيف (٢١٧ / ٨) . (٩) يَخْطُرُ : يهتَزُّ ويتبختر .

فصل

في ثناء الله عليه في كتابه العزيز ﷺ

أخبر الله تعالى في كتابه العرب أنه بعث إليهم ، رسولا من أنفسهم على القدر لديهم ، يعرفون فضله ومكانته ، ويتحققون صدقه وأمانته ، عزيزاً عليه ما يهوي بهم في الهوان ، حريصاً على دخولهم إلى دار أمان الإيمان ، شريف النسب فيهم ، رؤوفاً رحيماً بمؤمنيهم ، وأناله من نيل الكرامة غاية السؤل ، وقرن طاعته بطاعته فقال : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ ﴾ (١) ، وأطلع في أفق التوفيق نجمه ، ورحم العالمين به فقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً ﴾ (٢) ، فمن أصابه شيء من رحمته فقد فاز ، ووصل إلى كعبة النجاة من غير قطع حجاز ، وحصنه من سور كتابه العزيز بأمنع سور ، وسمّاه فيه نوراً بقوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ ﴾ (٣) ، وأرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وشرح بالرسالة صدره ، ووضع عنه وزره الذي أنقض ظهره ، ورفع بذكره معه في الشهادتين ذكره ، وأظهر دينه على الدين كله وعظّم أمره ، ورمى المشركين منه بالمقعد المقيم ، ونعته في أم الكتاب بالصراط المستقيم ، وآتاه سبعا من المثاني ، وأكرمه بمنزلة محكمة المباني .

(١) سورة النساء : ٨٠ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) سورة المائدة : ١٥ . وسمى ﷺ بالنور لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين

والعارفين بما جاء به .

آتاه سباعاً شمسُ آياتها

أضحتْ بآفاق الهدى واضحة

لها معانٍ سرُّها غامض

يعرفها ذو الصفقة الرابحة

سورُ كتاب الله ماحلة

أعظم منها سورة صالحة

تختم بالخير لقُرَّائها

وهي لأبواب الرِّضا فاتحة

وبعثه حرزاً للأمين ، ووضع كتابَ الأبرار به في عليين ، ورفعهُ إلى
المحلِّ الأسنى ، وقربهُ منه ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾^(٤) ، ونزَّه لسانهُ
عن النطق بهواه^(٥) ، وفؤاده عن الكذب فيما رآه^(٦) ، وبصرهُ عن الزيف
والالتفات^(٧) ، وزكَّي جملته الجميلة وعصمها من الآفات ، وأقسم علي أنه
ما ودَّعه ولا قلاه ، ولم يقسم بحياة أحدٍ في قوله : ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾^(٨) من الخلق
سواه ، وزوى له أرض الخيرات طولاً وعرضاً ، حيث أنزل عليه : ﴿ وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾^(٩) ، وأيده بأظهر البراهين وأبهر المعجزات ، وأرادهُ

(٤) سورة النجم : ٩ .

(٥) قال جلُّ شأنه : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ [النجم : ٣] .

(٦) قال الله تعالى : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ [النجم : ١١] .

(٧) قال الله تعالى : ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾ [النجم : ١٧] .

(٨) قال الله تعالى : ﴿ لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون ﴾ [الحجر : ٧٢] .

(٩) سورة الضحى : ٥ .

فى تلك الرسل بقوله : ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾^(١٠) ، ودرأ العذاب عن أهل مكة لكونه بواديهم ، فقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(١١) ، وأمر الذين هم فى حلية الإيمان به مجلون ، أن يُصَلُّوا وَيُسَلِّمُوا عليه بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾^(١٢) ، وأعطاه الحوض المعروف بالكوثر ، وردَّ على عدوه بقوله : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(١٣) ، وطهره من الأقدار والأدناس ، وبين عصمته فى قوله : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١٤) .

وحماه ممن كان يقصدُ ضُرَّهُ

بيدٍ له مغلولَةٍ ولسانٍ

ورعاه من نظر العيون بعينه

وكفاه شرَّ طوارقِ الحدثانِ

وأمدَّ بحراسةٍ وعنايةٍ

محفوفةٍ باللطف والإحسانِ

وهو الجديرُ بأن يُعْظَمَ قَدْرُهُ

عند القديرِ مُدَبِّرِ الأكوانِ

وأحسن مخاطبته فى سورة نون ، ووعدته فيها بأجرٍ غير ممنوع ولا ممنون ، وأثني عليه ثناءً يَجَلُّ أن يحمله رسول النسيم ، وبالغ بالتمجيد والتأكيد بقوله

(١٠) سورة البقرة : ٢٥٣ .

(١١) سورة الأنفال : ٣٣ .

(١٢) سورة الأحزاب : ٥٦ .

(١٣) سورة الكوثر : ٣ .

(١٤) سورة المائدة : ٦٧ .

تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١٥) ، وأتحفه تبارك اسمه في سورة
الفتح ، بجزيل الصلوات الواصلات والمنح ، من ظهوره وغلبته ، وعلو شراع
شريعته وكلمته ، وخضوع من ترفع من أعدائه وتكبر ، وغفران ما تقدم من
ذنبه وما تأخر ، وإتمام النعمة عليه ، وإرسال الهداية إليه ، ونصره النصر
العزیز ، ونصبَ حالٍ مَنْ حوله على التمييز ، وأنزل السكينة على قلب من
تابعه ، ورضاه عَمَّنْ تحتَ الشجرة من أصحابه بايعه ، إلى غير ذلك مما
تضمنته آيات السور المشهورة ، وكم له صلى الله عليه من معارف معروفةٍ
ومآثر ماثورة .

شهدَ الكتابُ بأن أحمدَ مرسلُ
من صاحب الملكوت جلَّ جلاله
كم آية فيها اسمه يُتلى وكم
أخرى بها أوصافه وخِلاله
والله أقسمَ صادقاً بحياته
في محكمٍ شرح الصدور مقالهُ
سبحان من أولاه أنواع الولا
وأنا له مــــا لا يُرام مناله
أزكى الصلاة عليه من ربِّ العلا
أبدأً وخصّص بالتحية آله

(١٥) سورة القلم : ٤ .

فصل

فى مولده وشرف نسه ﷺ

ولد النبى ﷺ بمكة أشرف البلاد^(١) ، وأكرمها على الله سبحانه وعلى العباد، ومن بحر بحزتهل ظهرت درته اليتيمة ، وفى أفق سمائها طلعت شمس طلعتة الوسيمة ، يا لها بلدة بركاتها نامية ، وموارد فضائلها طامية ، وأركان بيتها بالأمن مأهولة ، وأدعية الطائف بكعبتها مقبولة ، وحظ القائم بمقامها من السعادة واف ، وعيش الساعى بين صفأها ومروتها صاف ، طوبى لمن أقبل على حجرها وقبّل حجرها ، وبلغت نفسه من منى منها وقضت من عرف عرفة وطرها ، وهو دعوة أبيه إبراهيم^(٢) ، وبشارة عيسى عليه الصلاة والتسليم^(٣) ، وصفوة سلالة قريش وصميمها ، ونخبة بنى هاشم راحلها ومقيمها ، وأشرف العرب بدواً وحضراً ، وأفضلهم بيتاً وأعزهم نفراً، من قبل أبيه ذى النسب الزاكى نور نضرتة ، وجهة أمه ذات الحسب الزاهر ضوء زهرته .

إذا افتخرت قريش بالمعالى

وبالشرف الرفيع لدى الكرام

(١) انظر آراء العلماء فى التفضيل بين مكة والمدينة فى : إعلام الساجد للزركشى (ص ١٨٦)،

ووفاء الوفا للسمهورى (٢٨/١) ، وشفاء الغرام للفاسى (ص ١١٩) .

(٢) فى قوله تعالى : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ﴾ [آل عمران : ٨١] .

(٣) فى قوله تعالى : ﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد ﴾ [الصف : ٦] .

فهاشمها خلّصتها ومعنى

عبارة مجدها بين الأنام

وسرّ صميمها من ذا يسامى

رسول الله مصباح الظلام

بعثه الله من خير القرون والقبائل ، واختاره من أرفع البيوت والمنازل ؛
لأنه اصطفى من ولد إبراهيم الخليل ، رافع قواعد البيت معه إسماعيل ،
واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة ، ومن بنى كنانة قريشاً المعروف
بالشرف والمكانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، ومن بنى هاشم سرّ
السراة أبا القاسم ، ولم يزل ينقله من الأصلاب المأهولة بأهله الصلاح ،
حتى أخرجه من بين أبوين لم يلتقيا قطّ علي سفاح^(٤) .

تنقّلت فى أصلاب أرباب سُودد

كذا الشمس فى أبراجها تنقل

وسرت سرّياً في بطونٍ تشرفت

بحملٍ عليه فى الأمور المعول

هنيئاً لقوم أنت منهم وفيهم

بدا منك بدر بالجلال مُسرّبل

ولله وقتٌ جئت فيه وطالع

سعيدٌ على أهل الوجود ومقبل

(٤) السّفاح : الزنا .

ولا يخفى ما جري عند مولده وانتشر^(٥) ، وما وافى حين مقدمه المبارك واشتهر ، من ظهور النور الباهر ، وتدلّى النجوم الزواهر^(٦) ، وارتجاج إيوان ملك الفرس كسرى ، وسقوط شرفاته التى كادت أن تعقد بالشعرى ، وخمود نارهم الألفية ، وغيض الماء من بحيرة طبرية^(٧) ، وحراسة السماء بالكواكب^(٨) ، وإضاءة ما بين المشارق والمغارب ، وأنه عليه السلام أقبل مختوناً مسروراً^(٩) ، وتجلّى فى حلل النبوة محبوباً محبوراً ، واسترضع فى بنى سعد بن بكر ، وبرىء من أقوال أهل المين والمكر ، وشقّ قلبه الحى المتقى ، وغُسل بثلج الإرادة حتى نقى ، وختم بخاتم من نور ، تُخفى بهجته الشموس والبدور ، وملئ إيماناً وحكمة ، وحشى بالرافة والرحمة ، ووزن بمائة من أمته فرجح ، ولو وزن بجميعهم لتبين ترجيحه ووضح .

نبيّ طمّا بحرٌ شريفه

وميزان تعظيمه قد رجع

(٥) انظر الخصائص الكبرى (١ / ٧٨) ، ومجمع الزوائد (٨ / ٢٢٠) ، ودلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٨٥ - ٨٧) .

(٦) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٨٨) .

(٧،٨) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ١٥٥ - ١٥٧) .

(٩) جزم بأنه ﷺ ولد مختوناً جماعة من العلماء منهم : هشام بن السائب ، وابن حبيب ، وابن الجوزى ، والحاكم .

وقيل : ختن يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليلة ، وقيل : ختنه جده يوم سابعه وصنع له مأدبة وسمّاه محمداً . انظر الخصائص الكبرى (١ / ٩٠) ، ودلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٩٩) ، ومجمع الزوائد (٨ / ٢٢٤) . ومسروراً : أى مقطوع السرة .

بمقدمه زال عنا العنا

وآب الندى والهنا والفرح

لقد رفع الله من قدره

كثيراً وللصدر منه شرح

وأورثه حكمة حكمها

به الحق بعد الخفاء اتضح

ألا إن من يقتفى نهجه

أصاب ومقصده قد نجح

وما رفع به عن حليمة من الضير ، وما حصل لها ولقومها ببركته من أنواع الخير ، وما نشأ عليه من بغض الأصنام ، والعفة عن أمور الجاهلية قبل الإسلام ، وما ترادفت به الأخبار ، عن علماء الملل والأحبار ، وما عرف به الأساقف ، وطرق الأسماع من الهواتف ، وما أنذر به الكهان ، ونقل عن القسوس والرهبان ، من أنبائه وصفاته ، وأسمائه وعلاماته ، ونبوته وملته ، وبعثته ونعت أمته ، وما وجد من ذلك فى أشعار الموحدين ، وذكر من كلام من مضى من المتقدمين ، وما ألقى فى التوراة والإنجيل ، وبينه من أسلم من أهل الكتاب والتنزيل ، وما برز على السنة الأصنام وظهر ، وسمع من ذبائح النصب وأجواف الصور^(١٠) ، وما رُئى مكتوباً على الحجارة بالخط القديم ،

(١٠) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٦٤ وما بعدها) .

من ذكر اسمه والشهادة له بالرسالة والتعظيم^(١١) ، ولقد خصه الله تعالى بمزايا الرُّتب، وأعرب عن تفضيله على العجم والعرب ، ونظر إلى قلوب عباده فانتقى منها قلبه ، وسبر أحوال خلقه للتقرب منه فلم يختار إلا قربه ، وقسم الناس قسمين فجعله في خيرهم قسماً ، وزكاه أباً وأماً وأصلاً وفرعاً وروحاً وجسماً .

لمولد خير الرسل أحمدَ أصبحت
وجوه الهدى وضاًحَةً متبلّجه
وأشرقت الدنيا بأنوار بدره
وعادت به أرجاؤها متأرجه
وإيوان كسري اسقطت شرفاته
وحلّت عراً أبراجه المتبرّجه
ونيرانُ بيت الفرس باخ لهيّها
وكانت لديهم ألفَ عامٍ مُؤجّجه
وكم آيةٍ جاءت قرين قدومه
تُنيرُ من الحق المطهر منهجَه
عليه من الرحمن أزكى تحيةٍ
بأفضل تيجان الصلاة مُتوجّه

(١١) انظر الخصائص الكبرى (١ / ٦٢) .

فصل

فى أوصافه ونعوته ﷺ

كان النبى ﷺ عظيم الهامة^(١) ، معتدل القامة ، أزهر اللون^(٢) أدعج^(٣) ،
أهدب الأشفار^(٤) أبلج^(٥) ، كث اللحية واضح الجبين ، مُفلج الأسنان^(٦) أقني
العرنين^(٧) ، متماسك البدن ، أزج الحواجب من غير قرن^(٨) ، سهل
الخدین^(٩) ، طويل الزندان^(١٠) ، عبل العضدين^(١١) ، بعيد ما بين

-
- (١) الهامة : بالتخفيف : الرأس .
(٢) أزهر اللون : قيل : نيره . وقيل : حسنه .
(٣) الدّعج : شدة سواد العين فى شدة بياضها .
(٤) الأهدب : الطويل الأشفار ، والأشفار : جمع شفر وهو حرف الجفن الذى ينبت عليه
الهدب .
(٥) الأبلج : الحسن المشرق المضىء .
(٦) الفلج : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات .
(٧) العرنين : الأنف . والقنى فيه : طوله ودقة أرنبته مع ارتفاع فى وسطه .
(٨) الزجج : تقوُّس فى الحاجب مع طول فى طرفه وامتداد . والقرن : اتصال شعر
الحاجبين .
(٩) سهل الخدين : أى ليس فى خديه نُتوء وارتفاع .
(١٠) الزندان : عظمَا الذراعين .
(١١) عبل العضدين : العبل : الضخم .

المنكبين^(١٢) ، رَحَبَ الكفين^(١٣) ، مَسِيحَ القدمين^(١٤) ، أَشْمَ^(١٥) ضَلِيعَ الفم^(١٦) أَشْنَبَ^(١٧) ، أطول من المربع^(١٨) وأقصر من المُشْدَب^(١٩) ، ليس بِمُطَهَّمٍ^(٢٠) ، ولا قصير الذقن مُكَلَّثَمٍ^(٢١) ، رَجَلَ الشعر^(٢٢) لُجِينِي الجيد^(٢٣) ، أحلى الناس من قريب وأجملهم من بعيد ، دقيق المَسْرَبَةِ^(٢٤) واسع الصدر ، يتلألاً وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، الشكل ظاهرٌ بعينه^(٢٥) ، لا يجاوز شعره شحمة أذنيه ، إذا مشى كأنما ينحطُّ من صَبَبٍ^(٢٦) ، وإذا نطق أتى من جوامع الكلم بالعجب .

(١٢) المنكب : مجتمع رأس العَضُد والكُتف . وبعد ما بين المنكبين يدل على سعة الصدر والظهر .

(١٣) رَحَبَ الكفين : أى واسعها .

(١٤) مَسِيحَ القدمين : أى مَلَسَاوان ليتتان فإذا أصابهما الماء نبا عنهما سريعاً للاستهما .

(١٥) الشَّمَمُ : ارتفاع قسبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلاً .

(١٦) الضَّلِيع : أى عظيم الفم . وقيل : واسعه . والعرب تمدح عظم الفم وتذم صغره .

(١٧) الشَّنَبُ : البياض والبريق والتحديد فى الأسنان . وقيل : هو بَرْدُها وعذوبتها .

(١٨) المربع : الذى بين الطويل والقصير .

(١٩) المُشْدَبُ : البائن طولاً مع نقص فى لحمه . أى طوله بِطول وعرضه متناسبان على أتم صفة .

(٢٠) المُطَهَّمُ : هو المنتفخ الوجه . وقيل : الفاحش السمين .

(٢١) المُكَلَّثَمُ : وهى من الوجه القصير الحنك الدانى الجبهة المستدير مع خفة اللحم .

(٢٢) رَجَلَ الشعر : أى بين السبوطه والجعودة .

(٢٣) الجيد : العنق .

(٢٤) المَسْرَبَةُ : الشعر المُسْتَدَق ما بين اللبة إلى السرة .

(٢٥) من قولهم شككت العين : خالط بياضها حمرة .

(٢٦) الصَّبَبُ : الموضع المنحدر من الأرض ، وذلك دليل على سرعة مشيه ؛ لأن المنحدر لا يكاد يثبت فى مشيه .

جميلُ الصِّفَاتِ جَزِيلُ الصَّلَاتِ
 غَزِيرُ الْهَبَاتِ كَثِيرُ الْأَدَبِ
 بَدِيعُ الْجَمَالِ رَفِيعُ الْمَنَالِ
 عَدِيمُ الْمَثَالِ عَظِيمُ الْحَسَبِ
 مَلِيحُ الشَّمَائِلِ بَادِي السَّنَا
 بَسِيطُ الْأَنَامِلِ عَالِي الرَّتَبِ
 بِهِ أَرْشَدَ اللَّهُ أَهْلَ النُّهَى
 بِهِ شَرَّفَ اللَّهُ جَيْلَ الْعَرَبِ

وكان طيبَ الريح والاسم ، نظيف البدن والجسم ، أطيّب ريحاً من العنبر ، وأذكى عَرَفاً من المسك الأذفر^(٢٧) ، يَتَضَوّعُ طيباً ، ويهتزُّ غصناً رطيباً ، تختفى من شذاه جونة العطار ، وتتأرج بنشره الأرجاء والأقطار ، يصافح الرجل فيظل يومه يجدُّ في كفه نَشْراً ، ويضع يده على رأس الصبي فيُعرف من بين الصبيان عطرا ، ما مشى من طريق فمشى فيه أحدٌ من بعده ، إلا عرف أنه سلكه من ريحه الذي لا ند لنده^(٢٨) .

وجهُ الوجود بنور أحمدَ مشرقٌ
 وبعرفه أرجاؤه تتأرجُ

(٢٧) المسكُ الأذفر : الجيد إلى الغاية ، والعرفُ : هو الريح الطيب .

(٢٨) كانت الريح الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيباً . ومع هذا كان يستعمل الطيب في أكثر أوقاته مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحي ومجالسة الصحابة . وروى أن مبدأ هذه الرائحة الطيبة بجسده ﷺ من ليلة الإسراء .

الطَّيِّبُ يُطَوَّى عِنْدَ فَائِحِ نَشْرِهِ

وَالرَّوْضُ يَخْفَى زَهْرُهُ الْمَتَبْرِجُ

وكان دَمَثُ الأخلاق ، غزير الإرفاد^(٢٩) والإرفاق^(٣٠) ، خافض الطرف
سائلَ الأطراف^(٣١) ، جزيل المحاسن جميل الأوصاف ، ثابت الأساس ،
قوى الحواس ، يرى الشياطين ويرى الملائكة ، وكما يُبَصِّرُ في الضوء يُبَصِّرُ
في الظلمة الحالكة^(٣٢) ، وينظر من ورائه كما ينظر من بين يديه^(٣٣) ، ويرى
في كف الثريا أحد عشر نجماً إذا نظر إليه^(٣٤) ، ضحكه التبسم ، وشيمته
التكرم ، يَفْتَرُّ عن مثل حبِّ الغمام^(٣٥) ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، يخرج
النور من بين ثناياه ، ويغار النسيم من لطف سجاياه ، الملاحظة جُلَّ

(٢٩) الإرفاد : الرِّفْدُ : العطاء والصلة .

(٣٠) الإرفاق : العون والنفع .

(٣١) سائل الأطراف : يعنى أنها طَوَّال ليست بمنعقدة ولا منقبضة . ورواه بعضهم بالنون بدل اللام فقال : سائن ، وهما بمعنى ، أى طويل الأصابع .

(٣٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ٧٤) ، والخصائص الكبرى (١ / ١٠٤) ، وفيض
القدير (٥ / ٢١٥) .

(٣٣) قال العلماء : إن الله خلق له ﷺ إدراكاً في قفاه يبصر به من ورائه ، وقد انخرقت
العادة له ﷺ بأكثر من هذا . وقال القاضي عياض : إن هذه الرؤية رؤية عين حقيقة .
انظر القرطبي (١٣ / ١٤٤) ، وفتح الباري (٢ / ٣٢٥) ، وموطأ مالك (١ / ١٦٧) ،
ومسلم (١ / ٣١٩) .

(٣٤) ذكر ذلك القاضي عياض في « الشفا » ، وجزم به أبو عبد الله القرطبي في كتاب
« أسماء النبي ﷺ » حيث نظم ذلك فقال :

وهو الذى يرى النجوم الخافية مَبِينَاتٍ فى السماء العالية
إحدى عشر قد عدَّ فى الثريا لناظرٍ سِوَاهُ ما تهياً

(٣٥) يَفْتَرُّ : أى يتبسم ، وحبَّ الغمام : البرْدُ شبه به ثغره فى بياضه وصفائه بالبرْد .

نظره^(٣٦) ، والمناصحة غاية وطّره ، يمشى هَوْنًا لا سريعاً ، وإذا التفت التفت جميعاً^(٣٧) .

أكرم به ذا وقار
يمشى على الأرض هَوْنًا
عند المهمّات ذخيراً
وفى الملمات عَوْنًا
سَاد النبيين طُراً
علماً وفضلاً وصونا
لأن بين عَلاهم
وبين عُلّياه بَوْنًا

وكان طويل السكوت ، مواظباً على القنوت ، دائم الفكرة ، ملازم العبرة ، متواصل الأحزان ، متحلياً بالعدل والإحسان ، لا يعجبه من مَالٍ إلى المال وَلَهَى ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، يُعَظِم النعمة وإن دَقَّتْ ، ويصبر على المحنة وإن شَقَّتْ ، من رآه بديهةً هابه ، ومن خالطه معرفةً أحبه ولزم بابه ، لم يُرَ أحسن منه منظراً ، ولا أطيب خبراً ومَخْبَراً ، يبادر إلى

(٣٦) أى ينظر بلحظ عينه ، وهو شقها الذى يلى الصدغ والأذن ، ولا يحدق إلى الشيء ، وهو دليل الحياء والكرم .

(٣٧) يريد : لا يلقى عنقه يمنة ويسرة ناظراً إلى الشيء ، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف ، ولكن يقبل جميعاً ويدبر جميعاً .

قضاء حاجة من يتغى فضله ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله (٣٨)

من أين يوجد قبله أو بعده

مثل له وهو الحبيب المصطفى

الله فضله وحسن خلقه

مع خلقه وبه الأذى عنا نفى

طوبى لمن بجميل سيرته اقتدى

وطريق سنته المعظمة اقتفى

صلى عليه منير بدر صفاته

ما لاح فى الآفاق نجم واختفى



(٣٨) انظر الترمذى (٣٦٣٨) ، والشمالى الحمديّة (٨٠٧) ، ودلائل النبوة لليهقى (٢٧٠ / ١) .

فصل

فى فصاحتہ وأدبہ وحلمہ ﷺ

كان رسول الله ﷺ يعرف ألسنة العرب ، ويعلم لغة من بعد منهم واقرب ، ويخاطب كل طائفة منهم بلسانها ، ويجرى مع كل فرقة فى ميدان بيانها ، فصاحتہ إليها المنتهى ، وبلاغته حيرت أرباب النُّهى ، وجوامع كلمه مأثورة ، وبدائع حكمه مشهورة ، وعيون معانيه منسجمة ، ودرر ألفاظه منتظمة ، وإيجاز مقاطعه يُطرب الأسماع ، وحسن منازعه لا شك فيه ولا نزاع ، وطلاوة قوله تجل من الصفة ، وحلاوة منطقہ لا يذوقها إلا أهل المعرفة ، أنزل القرآن الكريم بلسانه ، تعظيماً لأمره ورفعاً لشانه ، ما أعذب لفظه ، وأنفع وعظه ، وأجزل فوائده ، وأجمل فرائده ، وأبلغ خطابه وخطبه ، وأبدع رسائله وكتبه ، نشأ فى بنى سعدٍ ورتبته فى قريش عالية ، فجمع من الكلام رونق الحاضرة وجزالة البادية ، وأيد ببراعة خصه بها من حكم بتوفير قسمه ، ولسن مدده الوحي الذى لا تدركه البشر ولا يحيطون بشيء من علمه .

محمدٌ أبلغ العرب الذين مضوا

نعم وأفصح من بالضاد قد نطقاً

جوامع الكلم المأثور طيبها

آتاه من أوجد الإصباح والغسق

لله ألفاظه اللائى لنا نشرت

جواهر العلم من تبيانها نسقا

من قال إن رسول الله ليس له

كفو من الناس فى الدارين قد صدقا

وكان ذا آداب شريفة ، ومعارف منيفة ، ونظر ثاقب ، ورأى صائب ،
وظن صادق ، وحس موافق ، وسياسة شاملة ، وحماية كاملة ، وفضائل
مقصودة ، وأخلاق محمودة ، دينه الإيمان ، وخلقه القرآن ، يسخط لسخطه
ويرضى لرضاه ، ويحذو حذوه ويهتدى بهداه ، بعث ليتمم مكارم الأخلاق ،
ويرحض^(١) شقة الأرض من دنس النفاق ، مقررأ للشرائع ، حافظأ للودائع ،
مجتهدأ فى المصالح ، راضأ للجوامح ، ناظرأ فى المهمات ، رافعأ أثقال
المللمات .

آداب خير الرسل قد قارنت

أخلاقه الحسنى وتهذيبه

لا يحصر الخاطر أوصافها

ولو أثار الفكر تلهيبه

وكيف لا والله ذو العرش إذ

أدبه فأحسن تأديبه

وكان النبى ﷺ غزير الحلم والاحتمال ، كثير الفضل والإفضال ، يصل

(١) من قولهم : رَحَضَ الثوب أى غسله .

من قطعه ، ويعطى من منعه ، ويبذل لمن حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ،
ويُغض طرفه على القذى ، ويحبس نفسه عند الأذى ، ولا ينتقم مع القدرة ،
ويصبر على ما يشق ويكره ، ولا يزيد مع أذى الجاهل وإسرافه إلا صبراً
وحلماً ، وما خَيْرٌ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، ولم يؤاخذ
الذين كسروا رِبَاعِيَّتَهُ (٢) وشَجَرُوا (٣) مُحِيَّاهُ ، وقصدوا خفض المرفوع من عرفه
ورياه ، بل دعا لهم واعتذر عن جهلهم ، وعفا عنهم وكم عفا عن مثلهم ،
وتجاوز عما بدا من المنافقين فى حقه قولاً وفعلاً ، ولم يقابل من شتمه ولا
من أراد به بسوء طَوْلاً وفضلاً ، وكم أعرض عن جاهلٍ ومعاند ، وما ضرب
بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد ، وصبر على مقاساة الجاهلية ، وعلى ما لقى
منهم من الشدة والبلى ، إلى أن سلَّطه الله عليهم ، وحكَّمه فيهم وأظفره بما
لديهم .

كان النَّبِيُّ الذى وافت شمائله

بالحلم مؤتزرًا والصبر مُشتملاً

يعفو ويصفح فضلاً بعد مقدرة

ويحبس النفس عند الشرِّ مُحتملاً

وما يقابلُ من يأتى بمظلمةٍ

فى حقه معرضاً عن قول من جهلاً

(٢) الربَّاعِيَّة : السَّن بين الثنية والناب ، وهى أربع : ربَّاعيتان فى الفك الأعلى ، وربَّاعيتان
فى الفك الأسفل ، وكان ذلك يوم أحد حيث جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت
ربَّاعِيَّتُهُ وهُشِّمَت البيضة على رأسه ، فداه أبى وأمى ونفسى التى بين جنبي .
(٣) الشَّجُّ : فى الرأس أو الوجه أو الجبين ؛ والفَلُّ فى الأعضاء كلها .

وكم غداً آمراً بالعرف مجتهداً
وكم أنال وكم أعطى وكم بذلا
تفصيل تفضيله لا ينتهى أبداً
يا ذا الولاء فخذ أوصافه جُملاً
منى عليه سلامٌ نشره عطرٌ
ما سار بدرُ الدُّجى فى الأفق مُتَقِلاً



فصل

فى جُودِه وكرمِه وشجاعته ﷺ

كان النبى ﷺ عالى الهمم ، وافر الفضل والكرم ، طويل الباع ، مديد الذراع ، سبط الأنامل ، كريم الشمائل ، جميل العواطف ، جليل المعارف ، محباً للحياء ، مطبوعاً على السخاء ، سهل الإنفاق ، جزل الإرفاق ، مهتماً بصلة الأرزاق ، أين منه الغيث المغيث والبحرُ الغدّاق^(١) ، يحقق الوسائل ، ولا يخيب أمل الآمل ، يئذل الرغائب^(٢) ، ويعين على النوائب ، يحمل الكلَّ ويُنكسب المعدوم ، ويُجرى سيل السيِّب على السائل والمحروم ، ويمد أطناب الرغد وأوراقه ، ويعطى عطاء من لا يخشى الفاقة ، وينيل من أخلد إليه ما لم يكن فى خَلَدِه ، ولا يدخر شيئاً من يومه لغده ، أسخى من الغمام المثقلة ، وأجرى بالخير من الريح المرسلة ، ظلال عطايه مديدة ، وحلل مكارمه لا تبرح جديدة ، تمتاز السحائب من يَمَّ أياديه ، وتهرع الركائب إلى نَدَى نأديه ، ما سُئِلَ عن شىء فقال لا^(٣) ، ولا أعرض عن طالب عَرَض ولا قلا ، أعطى رجلاً سأله غنماً بين جبلين^(٤) ، ولم يزل

(١) البحرُ الغدّيق : الكثير الماء .

(٢) الرغائب : العطاء الكثير ، جمع رغبة .

(٣) انظر الحديث فى البخارى ومسلم (اللؤلؤ والمرجان ١٤٩٣) ، وشرح السنة للبغوى (٣٥٧٩ ، ٣٥٨٠) ولله در الفرزدق حيث يقول :

ما قال لا قطُّ إلا فى تشهده لولا التشهدُ كانت لاؤه نعمُ

(٤) عن أنس أن رجلاً أتى النبى ﷺ فسأله ، فأعطاه غنماً بين جبلين ، فأتى الرجل قومه فقال : أسلموا ، فإن محمداً يعطى عطاء رجل ما يخاف الفاقة [مسلم ٤ / ١٨٠٦ ، وشرح السنة للبغوى ٣٥٨٥] .

معروفه معروفاً عند الثقلين ، وقَسَمَ في مجلس واحد تسعين ألف درهم ،
وكم أنجد بعطائه من أنجد ومن أثهم ، وأعطى مائة من الإبل غير واحد من
العرب ، وجاد للعباس بما لم يطق حمله من الذهب^(٥) ، وردَّ سبايا هوازن
وكانوا ستة آلاف ، وخبرُ ما منح به صفوان^(٦) وغيره عن علم الرواة غير
خاف .

لقد كان المُقَفَّى^(٧) سَيْلَ سَيْبٍ
وبحرَ تَكْرُمٍ وسحابَ وَبَلٍ
طويلَ الباعِ مُنْشَرَحَ العطايا
وسبَطَ الكفِّ ذا جِوَدٍ وفضلٍ
شريفَ المنتهى جَزَلَ الأيادي
حَلِيفَ تَقَى وإحسانٍ وعدلٍ
يجودُ على العُفَاةِ(*) بلا سؤالٍ
وينجز وعده من غير مَظَلٍ
له شيمٌ وأوصافٌ حسانٌ
يفوح عبيرها في كل حفلٍ

(٥) المراد العباس بن مرداس ، ولذلك قصة ذكرها ابن حجر في الإصابة (٦٣٣ / ٣) .
(٦) عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال : أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين ، وإنه
لأبغض الخلق إلي ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي . [مسلم ٥٩ / ٢٣١٣ ،
والترمذي ٣٦٦ ، وشرح السنة للبغوي ٣٥٨٦] .
(٧) المُقَفَّى : هو بمعنى العاقب ، وهو المتبع للأنبياء .
(*) العُفَاة : جمع عافى : كل طالب معروف .

يجل من البرية عن نظير

وعن كفو يقاس به ومثل

وكان ذا شجاعة ونجدة ، وبسالة وشدة ، وبأس وشهامة ، وحماسة
وصرامة ، وصولة وإقدام ، وإرغام للضرغام^(٨) ، يشئت شمل الكُماة^(٩) ،
ويهتك وجوه الحماة ، ويُبطلُ حيلة الأبطال ، ويفرق جمع الأفيال ، نفوذ
النبال من شدة عزماته ، ومضاء المُرْهفات من صدق رأيه وخفق آياته ،
أذهب الشك بحق اليقين ، وأرهب العدى بسيفه المتين ، وسفه أحلامهم ،
ونكس أعلامهم ، وزيف أقوالهم وأفعالهم ، واستباح أرضهم وديارهم
وأموالهم ، وأباد أهل العناد بعَضْبِهِ البتار^(١٠) ، وأظهر دين المسلمين بصحبه
الأشداء على الكفار ، غزواته معدودة ، ومشاهده مشهودة ، وحروبه لا
تنكر ، ومواقفه أشهر من أن تذكر ، حضر الوقائع الحامى وطيسها^(١١) ،
وشهد الملاحم العرمرم خميسها^(١٢) ، وتولّى الكُماة عنه وهو مستقر غير مرة ،
وفرّ المسلمون من حوله يوم حنين فرّة مرة ، وهو ثابت لا يبرح ، ومقبل لا
يُدبر ولا يتزحزح ، قائلاً : «أنا النبی لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب»^(١٣) ، ما
قرب منه أحدٌ إذا التقى الجمعان ، إلا وعده من أشد الكُماة والشجعان ، وما

(٨) الضرغام : الأسد الضارى الشديد .

(٩) الكُماة : الشجعان . (١٠) العَضْبُ : السيف القاطع .

(١١) الوطيس : حجارةٌ مُدورة ، فإذا أُحميت لم تمكن أحداً الوطأ عليها ، ويضرب مثلاً
للأمر الشديد .

(١٢) الخُميس : الجيش ، وسمى الجيش خميساً لأنه ينقسم خمسة أقسام : ساقه ، ومقدمة ،
وجناحين ، وقلباً .

(١٣) وكان ذلك يوم حنين ، وعزاه في السيرة الشامية إلى ابن أبى شيبة وابن جرير
(١٢١/٩) .

لقى كتيبةً إلا وكان أول ضارب ، ولا توائب القوم لوقوع صوتٍ إلا وكان أسرعَ واثبٍ ، لم يُرَ أثبت جأشاً منه فى الجهاد ، ولا أقربَ إلى جهةِ المشركين منه وقت الجِلاَد ، قال ابن عمر: «ما رأيت أشجعَ ولا أنجَدَ ، ولا أسخى من رسول الله ولا أجود» وقال على: «كنا نتقى برسول الله إذا اشتدَّ البأس واحمرت الحدق^(١٤)» ، وفى هذا الحديث الحسن ما فيه مما يخطبُ كاعب السرور ويجلب غائب النوق^(١٥) .

بأس وشدة نجدة وحماسة

رُكِّنَ فى من وجهه يجلو الغسق^(١٦)

ذاك النبىُّ المصطفى الهادى الذى

سبق النبیین الكرامَ بما سبقُ

كم شتَّ شمل المشركين بسيفه

وأحلَّهم سجن الحفيظة والحنقُ

كم ألَّبوا وتجمعوا للقاءه

فتفرقوا لما رأوه من الفرق^(١٧)

(١٤) عن على بن أبى طالب قال : كنا إذا أحمر البأس ، ولقى القوم القوم ، اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحدٌ أقرب إلى العدو منه . [شرح السنة للبغوى ٣٥٩٢] .

(١٥) النوق : جمع ناقة وهى الأنثى من الإبل ، والمراد شواردها .

(١٦) الغسق : ظلمة الليل .

(١٧) الفرق : الخوف .

من قال إن محمداً أوفى الورى
يوم الوغى عزمأ وإقدامأ صدقُ
صلَّى عليه المالك القدوس ما
هتف الحمأمُ الورقُ ما بين الورقُ



فصل

فى حىائه وأنسه ولطفه وشفقته ﷺ

كان رسول الله ﷺ أكثر الناس حياء ، وأوفرهم عن العورات إغضاء ، وأوسعهم صدرأ ، وأنورهم بدرأ ، وأجملهم وصفاً ، وأجزلهم لطفأ ، وأعطفهم نائلاً ، وألطفهم شمائل ، وألينهم عريكة^(١) وأكرمهم عشرة ، وأحسنهم أدبأ وأبهجهم نضرة ، وأظهرهم بشرأ وأنساً ، وأبسطهم خلُقأ وأطيبهم نفسأ ، أشد حياء من العذراء فى خدرها^(٢) ، وألطف من نسَمات الأسحار عند هبوبها وممرها ، ليس بفظ^(٣) ولا غليظ^(٤) ولا سخَّاب^(٥) ، ولا فحَّاش^(٦) ولا مدَّاح ولا عيَّاب ، يؤلف الناس ويحسن إليهم ، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم ، لا يطوى عن بشرٍ بشره ، ولا يشافه أحداً بما يكره ، ولا يثبت بصره فى وجه أحدٍ من حىائه ، ولم يُرَ قط مادأ رجليه بين جلسائه ، ويتفقد أصحابه ، ولا يغلق على الوفد أبوابه ، ولا يقطع عن أحد حديثه ، ولا يمنع عن الملهوف سُحبَه المغيثة ، ولا يعدل عمَّن جالسه لحاجة

(١) العريكة : الطبيعة والنفس .

(٢) الخدر : السَّتر : لأن العذاء فى الخلوة يشتد حياؤها أكثر ما تكون خارجه منه ، لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها . وانظر الحديث بنصه فى « اللؤلؤ والمرجان ١٤٩٩ » .

(٣) ليس بفظ : أى ليس بسىء الخلق .

(٤) الغليظ : الجافى .

(٥) ولا سخَّاب : أى لا يرفع صوته بكثرة الصياح ، لحسن خلقه ، وكرم نفسه ، وشرف طبعه . وروى بالصاد وهو بمعناه .

(٦) ولا فحَّاش : أى ليس ذا فحش فى كلامه .

ولا ينحرف ، ولا ينصرف عنه حتى يكون هو المنصرف ، وما التقم أحدٌ أذنه
فنجى رأسه حتى يتنجى الملتقم^(٧) ، ولا يحسبُ جلسه أن أحداً أكرم عليه
منه لما يرى من إحسانه المرتكم^(٨) .

له سيرٌ مأثورة سار ذكرها

وبشر لمن يلقاه لاحت بشائره

وأنسٌ يرى الإنسان منه مسرة

وفيه رجاء طار فى الحي طائره

وبسطة نفسٍ للنزيل نفيسة

وغيث يجيب الغوث عمت مَوَاطره

أيا من يروم الحصر من نعت أحمد

أفقٌ فهو بحرٌ لا تعدُّ جواهره

وكان يقبل الهدية ويكافئ عليها ، ويثابر على المعونة ويسارع إليها ،
ويجيب دعوة المسكين والمسكينة ، ويعود المرضى فى أقصى المدينة ، ويخفف
الصلاة بسبب طالب الحاجة ، ويكثر إلى التغافل معاده ومعاجه ، ويقابل
عذر المعتذر بالقبول ، ويطلع لزائره نجوم إكرام ليس لها أفول ، ويؤثر من
يدخل عليه بوسادته ، ولا يخرج فى مكارم الأخلاق عن عادته ، ويدعو
أصحابه بكناهم وأحب أسمائهم ، ويميل إلى مخاطبتهم ومحادثتهم ومداعبة

(٧) أى ما حدثه أحد عند أذنه ؛ استعار وضع اللقمة فى الفم لوضع الفم عند الأذن . انظر :

دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ١٢١) .

(٨) المرتكم : المجتمع بعضه على بعض .

أبنائهم ، ولا يجيب أحداً منهم ومن أهل بيته إلا بالتلبية ، ويعم كلاً من جلسائه من مودته بالتسوية ، ويُجرى على من أمّه وأمله نيل النول ، ولا يرد ذا الحاجة إلا بها أو بميسور من القول ، قال أنس رضى الله عنه : «خدمته عشر سنين فما قال لى لشيء صنعتُهُ لم صنعتَه ، ولا لشيء تركته لم تركته»^(٩).

رسولٌ حلمٍ ورحمةٍ ورضاً
مُقَدَّسُ الخُبَر طيبُ الخَبَرِ
أنسٌ وحيدٌ وغيثٌ منتجِع
كهفٌ طريدٌ وعونٌ مفتقر
يكرمُ أصحابه وزمرته
ويلتقيهم بأحسن الصور
ماذا يقول البليغُ مجتهداً
فى حقّه وهو سيدُ البشرِ

وكان ذا شفقة تامة ، ورأفة عامة ، ورحمة شاملة ، وحنو سحائبه هاملة ، يحب الرفق ولا يعدل عن جهاته ، وإذا سمع بكاء الصبي تجوّز في صلاته ، ويأمر بالحسنة ويدنى أهلها ، ولا يجزى بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويصفح ، ويتجاوز عن المسىء ويسمح ، ويدفع بالتي هي أحسن ، ويأتى من

(٩) ونص حديث أنس رضى الله عنه قال : خدمت النبی ﷺ عشر سنين فما قال لى : أف ، ولا : لم صنعت ؟ ولا : ألا صنعت ! [اللؤلؤ والمرجان ١٤٩١] ، وانظر شرح السنة للبغوى [٣٥٥٨ ، ٣٥٥٩] .

المعروف بما أمكن ، ويصل الرحم ويقرى الضيف ، ويقطع أسباب الحُتْف^(١٠) والحَيْف^(١١) ، ويحرص على دخول المسلمين إلى دار السلامة ، قال ابن مسعود: «كان يتخولنا بالموعظة مخافة السَّامة^(١٢)» ، خفف عن أمته وسهّل ، وتوقف فيما يشق عليهم وتمهل ، وبالغ في إسداء الإحسان إليهم ، وكره أشياء مخافة أن تفرض عليهم^(١٣) ، وأطَّلَعَ لهم شفقا من الشفقة لا يغيب ، وخصهم من مناهل خيره وموارد ميرته بأوفر نصيب .

يا أمة المختار بشراكمُ

بالفوز من قرب الحبيبِ النَّسِيبِ

المحسنِ الهادى البشير الذى

خَفَّفَ عنكم كل أمرٍ عَصِيبِ

وكثَّرَ الخيرَ عليكم ومن

بحر القرى جاءكم بالعجيب

صَلَّى عليه الله ما غَرَّدَتْ

حمامةٌ من فوق غُصْنٍ رَطِيبِ

(١٠) الحُتْفُ : الهلاك .

(١١) الحَيْفُ : الجور والظُّلم .

(١٢) يتخولنا : أي يتعهدنا . وقال ابن الصلاح : الصواب بالحاء المهملة أى يطلب الحال التى يسيطون فيها للموعظة ، والأول اختاره أغلب المحدثين .

(١٣) كقوله ﷺ : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسَّواك عند كل وضوء ، ومع كل صلاة ، ولأخرت العشاء إلى ثلث الليل » ، وكرهته دخول الكعبة لثلاثِ لَيَّاتٍ أمته .

فصل

في وفائه وتواضعه وعدله ووقاره ﷺ

كان النبي ﷺ أجمل الناس ودأ ، وأحسنهم وفاء وعهدا ، وأعدلهم حكما ، وأسعدهم نجما ، وأعلاهم منالاً ومناراً ، وأوفاهم سكينة ووقارا ، وأوفرهم للحقوق ذكرا ، وأكثرهم تواضعاً وأقلهم كبرا ، وأظهرهم بشرا ، يركب الحمار ويُرْدَف خلفه ، ويبدى للفقير والمسكين لطفه ، ويأكل مع الخادم ، ويبادر إلى خِدمة القادم ، ويرقع ثوبه وَيَخْصِفُ نعله^(١) ، وَيَقُمُ بيته^(٢) ، ويخدم أهله ، ويحلب الشاة ويعقل البعير ، ويجيب إذا دُعِيَ حتى إلى خبز الشعير ، ويتوكأ على العصا ، ويضطجع على الرمل والحصى ، ويحمل بضاعته من السوق ، ويقوم بما يتعين عليه من الحقوق ، ويرى أن حُسْنَ العهد من الإيمان ، ويعامل من أكرم أصحابه بأتم الإحسان ، وينظر في حال المديون والمفلس ، ويجلس حيث انتهى به المجلس ، ويكره أن يُقَامَ له إذا أتى ، وينصف المظلوم ممن تعدى عليه وعتا ، وسكَنَ من ربح العز والكبرياء عجاجتها ، وينطلق مع الأمة حيث شاءت حتى يقضى لها حاجتها^(٣) ، حجَّ على رحلي رث الهيئة والصورة ، وأهدى مائة بدنة في تلك

(١) يَخْصِفُ نعله : أى يَخْرُزُهَا ، من الخَصَفِ : الضم والجمع .

(٢) يَقُمُ بيته : يكنسه . والقُمامة : الكُناسة .

(٣) عن أنس أن امرأة عَرَضَتْ لرسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة ، فقالت : يا رسول الله إن لى إليك حاجة . فقال : « يا أم فلان اجلسى فى أى سكك المدينة شئت اجلسُ إليك » قال : ففعلت ، فقعد إليها رسول الله ﷺ حتى قضت حاجتها . [مسلم ٤ / ١٨١٢ ، ١٨١٣ ، وأبو داود ٤٨١٩ ، والبغوى فى شرح السنة ٣٥٦٦] .

الحجة المبرورة ، وأدار فى سماء السعادة لنجوم أصحابه فلُكا ، واختار أن يكون نبياً عبداً لا نبياً ملكاً^(٤) ، على أنه سيد البشر بلا شك ولا ريب ، وأكرم الخلق على عالم الشهادة والغيب .

كان الرَّسُولُ الْمُصْطَفَى

أوفى الأنام بعهدِهِ
وأجلَّهم قدراً وأكـ
رمهم بخالصِ ودِّهِ
وأسـرهم بشراً وأنـ
جزهم لصادقِ وعْدِهِ
متلطفاً متعطفاً
متواضعاً فى مجده
يسعى لخدمة ضيفه
ويرى السماح برِفْدِهِ
والحقَّ يتَّبَعُ دائماً
فى حلِّهِ أو عَقْدِهِ

(٤) انظر نص الحديث فى أخلاق النبى لأبى الشيخ (٢١٣) ، ومجمع الزوائد (٩ / ١٩) ، وطبقات ابن سعد (١ / ٩٥) ، وشرح السنة للبغوى (٣٥٧٧ ، ٣٥٧٨) .

وكان أكثر الناس أمانة ، وأجزلهم عفة وصيانة ، وأنضرهم بهجة ،
وأصدقهم لهجة ، وأجملهم سراً وإعلاناً ، وأغزرهم عدلاً وإحساناً ، صادقاً
فى الكلام ، صادقاً بالحق فى الأحكام ، أميناً فى السماء والأرض ، مكيناً
عند من إليه النشور والعرض ، وعده مقرون بالإنجاز ، ولفظه مشتمل على
الإيجاز ، لا يأخذ أحداً بقرف أحد ، ولا يُقبل على من مال إلى العناد
وعند ، يحكم عدلاً ، وينطق فضلاً ، ويشفع فرض الصلاة بنفلها ، ويؤدى
الأمانات إلى أهلها ، تعرف الجاهلية فضله قبل الإسلام ، وكانوا يتحاكمون
إليه فى النقض والإبرام ، يشهد وليه وعدوه بعلمه وعدله ، والفضل ما
شهدت به الأعداء لأهله .

نعم يعرفون الفضل منه وكيف لا

وقد عاينوا منه الأمانة والعدلا

ويكفيه أن الله أنزل فضله

وفى محكم القرآن أوصافه تتلى

وكان ذا مروءة وافرة ، وتؤدة عن وجه السداد سافرة ، جزيل الصمت
والوقار ، جميل المآثر والإيثار ، يرعى حق الصحبة القديمة ، ويجود بجود
نعمه العميمة ، ويتعطف على ذوى رحمه برحمته وصلاته ، ويتلطف
بالصغار من أولاد أولاده حتى فى صلاته ، ويأمر باستعمال خصال الفطرة ،
ويسكت على الحلم والحذر والتقدير والفكرة ، ويسكن إلى قلة الكلام
ويميل ، ويعرض عمن تكلم بغير جميل ، مجلسه مجلس هدى وعلم ،
ومحل خير وحياء وحلم ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تذكر فيه العورات ،

ولا تُؤَبِّنْ فى حَرَمِ الحُرْمِ^(٥) ، ولا تُخَفِّرْ فى أَرْجائِهِ الذَّمَّ ، إنْ تَكَلَّمَ أَطْرُقَ
جَلِساؤُهُ ، وإنْ صَمَتَ زَادَ وَقَارُهُ وَبِهاؤُهُ ، لا يَكادُ يَخْرُجُ فى مَجْلِسِهِ شَيْئاً مِنْ
أَطْرَافِهِ ، ولا يَعْدِلُ عَنْ طَرِيقِ عَدْلِهِ وَأَدَبِهِ وَإِنْصَافِهِ .

يا حَبِذاً أَوْصَافُ عَدْلِ مُنْصَفِ

قَدْ حَارَتْ الْأَفْكارُ فى أَوْصَافِهِ

وَلَأَجَّ أَبْوابُ المَرْوَةِ والحَيَا

فَرَّاجُ ضَيْقِ الْمُعْتَفَى كَشَّافِهِ

ذِى مَجْلِسٍ لا يَحْتَوِى إِلَّا عَلَى

قَرَمٍ^(٦) يُسَرُّ بِمُلْتَقَى أَضْيَافِهِ

الْعِلْمُ فى أَقْطَارِهِ وَالْحِلْمُ فى

أَرْجَائِهِ وَالسَّلَامُ فى أَكْنَافِهِ

صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُهُ وَمَحَبَّهُ

مَا لَاحَ بَرْدُ الرِّوَضِ فى أَفْوافِهِ



(٥) أى لا توصف فيه النساء ، ولا تذكرن بقبيح .

(٦) القَرَمُ: السيد المُعَظَّم .

فصل

فى زهده وقناعته وعبادته ﷺ

كان رسول الله ﷺ زاهداً فى الدنيا ، نازلاً من تركها بالمنزلة العليا ،
متنزهاً عنها ، متقللاً منها ، معرضاً عن زهرتها ، غير ناظر إلى نضرتها ،
متحلياً بالطاعة ، متلفعاً بمروط^(١) القناعة ، مزيناً بالعفاف والكفاف أحواله
وأموره ، مقتصرأ من نفقته وملبسه على ما تدعو إليه الضرورة ، يلبس
البرد^(٢) الغليظ والكساء والشملة^(٣) ، ويقسم حلل الديباج على أصحابه حلة
بعد حلة ، عيشه ظليف^(٤) ، ومأكله طفيف ، وملبسه خشيف^(٥) ، وفراشه
من آدم^(٦) حشوه ليف^(٧) ، يقل المنام ، ولا يستكثر من الطعام ، يبيت جائعاً
طاوياً ، ويصبح صائماً خاوياً ، لا يسأل أهله طعاماً ، ولا يظهر لهم غرثاً^(٨)
ولا أواماً^(٩) ، إن أطعموه أكل ، وإن سقوه قنع بالنهل^(١٠) .

(١) المُرُوط : جمع مرط : كساء من صوف أو خز أو كتان يؤتزر به وتتلفع به المرأة .

(٢) البرد : جمع بردة وهى الشملة المخططة .

(٣) الشَّمْلَة : كساء من صوف أو شعر يُتَغَطَّى به ويُتَلَفَف به .

(٤) الظِّلِف : الأمر الشديد الصُّلب .

(٥) الخَشِيف : الخشن .

(٦) الأَدَم : الجلد المدبوغ .

(٧) اللَّيْف : ورق النخل .

(٨) الغَرَث : الجوع .

(٩) الأوام : حرارة العطش .

(١٠) النَّهْل : قال ما سقى إلا نهلة : أى مرة واحدة .

زهدٌ عظيمٌ واقتصارٌ زائدٌ

فى مأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ

وعفةٌ يتبعها صبرٌ على

صوم النهار وقيام الحنْدَس^(١١)

وفرط إعراضٍ عن الدنيا وما

تلهى به من وشيها المدلس

يا سيد الرُّسل ويا أعلى الوري

منزلة تفديك كل الأنفس

ما أكل قط على خُوان^(١٢) ، ولا خُبِزَ له المُرقَّق^(١٣) حيناً من الأحيان ، ولا
شبع من خبز شعير يومين متوالين ، ولا من خبز بُرٍ ثلاثة أيام تباعاً حتى
أدركه الحَيْن^(١٤) ، ولا رأى أبداً لحم شاة سميط^(١٥) ، ولقد نام أحياناً على
سرير مَرْمُولٍ بشريط^(١٦) ، وما خَلَّفَ ديناراً ولا درهما ولا نفقة ، ولم يترك
إلا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة ، هذا وقد أوتى خزائن الأرض

(١١) الحنْدَس : الليل .

(١٢) الخُوان : ما يؤكل عليه « معرّب » وفيه ثلاث لغات : كسر الخاء وهى أكثر ، وضمها ،
وإخوان .

(١٣) المُرقَّق : أى لأن عامة خبزهم كان من الشعير ، وإنما يتخذ الرُّقاق من دقيق البرّ .

(١٤) الحَيْن : الموت .

(١٥) شاة سميط : من سمطت الجدى : إذا نظفته عن الشعر بالماء الحار لتشويه فهو سميط
ومسموط .

(١٦) مَرْمُول : أى منسوج بهذا الشريط وليس عليه وطاء . والشريط : حبل يفتل من
صوف .

ومفاتيح الكنوز ، وأُبرزَ له من الإبريز كل محجوب ومحجوز ، وأظلمته
غمائم الغنائم ، وجاءته هدايا أهل التيجان والعمائم ، وحملت إليه الجزى
والصدقات ، وانثالت^(١٧) عليه الأموال والنفقات ، وسيقت إليه الدنيا
بحذافيرها ، وترادفت عليه الفتوحات بجماهيرها ، فقابل الإيراد من ذلك
بالإصدار ، وما استأثر منه بدرهم ولا دينار ، بل أنفقه في الخير ، وأغنى به
فاقة الغير ، وفرقه في مصالح المسلمين ، وكفَّ به أكفَّ المشركين ، وبذله
لطالب رفده وقاصد نواله ، حتى إنه توفي ودرعه مرهونة في نفقة عياله .

نبىً وافت الدنيا إليه

وجاءته مفاتيحُ الكنوز

ومالت نحوه فأبى عليها

وقابلها بإفراطِ النشور

تجنبَّها وأعرض عن جنَّها

ولاذ بجانب الملك العزيز

رعاه الله مختاراً هداًنا

إلى المنهاج باللفظ الوجيز

وكان شديد الخوف والعبادة ، وافر الطاعة والمحبة والإفادة ، طاعته نظير
حبه ، وخوفه على قدر علمه بربه ، عمله ديمة ، وطريقته مستقيمة ، يصلى
طويلاً ، ويقوم الليل إلا قليلاً ، ينام على شقه الأيمن بغير مهاد ، ليستظهر
على قلة النوم والرقاد ، يراقب من يُحاسب على الدرة والذرة ، ويستغفر الله

(١٧) انثالت : انصبت .

تعالى فى اليوم مائة مرة^(١٨) ، قام حتى انتفخت قدماه ، وهجر الطعام فى الهواجر طاعة لمولاه ، المحبة أساسه ، والصبر لباسه ، والزهد حرفته ، والصدق سجيته ، واليقين قوته ، والرضا مطيته ، والمعرفة رأس ماله ، والطاعة منتهى آماله ، والشوق مركبه والفكر أنيسه ، والثقة كنزه والحزن جليسه ، والفقر فخره والعقل مصباحه ، والجهاد خلقه والعلم سلاحه ، وقُرَّة عينه فى الصلاة ، وثمره فؤاده ذكرٌ من لا إله سواه .

الخوف مألّفه والصبر مطرفه

والعلم مُرَهَفه والشوق مركبه

عبادة الخالق الجبّار همته

وطاعة الواحد القهار مطلبه

وديمة العمل المبرور شرعته

ومذهب الحق والإيمان مذهبه

أزكى التحيات منى لا تفارقه

ما طاب من سلسل الأمطار مشربه

(١٨) استشكل وقوع الاستغفار منه ﷺ ، وهو معصوم ، والاستغفار يستدعى وقوع معصية ، وأجيب بأجوبة منها : أنه رأى الاشتغال بالأموال المباحة من أكل أو شرب أو جماع أو نوم أو راحة وغير ذلك مما يحجبه عن الاشتغال بذكر الله تعالى والتضرع إليه ومشاهدته ومراقبته ، ذنباً بالنسبة إلى المقام العلى ومنها : أن استغفاره تشريع لأئمة ، أو من ذنوب أئمة .

فصل

فى الإسراء به وعروجه إلى السموات ﷺ

﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾^(١) ، وسحب له على سحب المعالى ذىلاً ، ونقله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأتحفه من نعمه الظاهرة والباطنة بما لا يُحصَر ولا يُحصى ، أُنِىَ ﷺ بالبُرَاق^(٢) ، فركبه ليخترق به السبع الطباق ، وهو دابة أبيض طويل ، يضع حافره عند منتهى طرفه الكحيل ، فلما وصل بيت المقدس صلى فى مسجده امتثالاً للأمر ، وأصاب الفطرة باختياره اللبن دون الخمر ، ثم عرج مع جبريل إلى السموات ، ومنح فى العالم العلوى بأعلى الدرجات ، ورأى آدم فى السماء الدنيا ، وفى السماء الثانية عيسى ويحيى ، وفى السماء الثالثة يوسف الصديق ، وفى الرابعة إدريس الحقيق بأسرار التحقيق ، ولقى هارون فى السماء الخامسة ، وأخاه موسى فى السماء السادسة ، وفى السابعة إبراهيم المشهود فضله المشهور ، وإذا هو مسند ظهره إلى البيت المعمور^(٣) ، يا له بيتاً يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه إلا بمشيئة من أدار الفلك^(٤) ،

(١) سورة الإسراء : ١ .

(٢) البُرَاق : سُمى بذلك لسرعته من البرق أو لبريقه .

(٣) على من قال أن البيت المعمور فى السماء السابعة ، وقيل : فى السماء الأولى ، وقيل : فى الرابعة ، وقيل : فى السادسة .

(٤) عزاه السيوطى فى « الدر » (٦ / ١٤٥) إلى ابن جرير ، وأبى يعلى (٣٤٨٦) ، وأخرجه الحاكم وصححه ، والبيهقى فى الشعب (٣٩٩٣) ، وعزاه الشامى فى سيرته إلى ابن مردويه ، والعقلى ، وابن أبى حاتم (٣ / ١٨٩) .

واستأنس بالأبوين^(٥) والأخوة وابنى الخالة^(٦) ، وكل منهم أشار إلى صلاحه
ورحب به ودعا له ، وعند كل سماء يستفتح جبريل فيفتح له الباب ، ويسأل
عن بعثة من معه فيرد على سائله الجواب .

ركب البراق محمدٌ ليلاً ولم
يركبه أفضلُ منه عند الخالقِ
ورقى ليحظى بالنعيم من اللقا
والقرب مخترقاً لسبع طرائقِ
ورأى النبَّين الكرامَ ورحَّبوا
بقدومه ترحيب خلٍ صادقِ
وسما إلى رتبٍ هناك يحار في
أوصافها فكرُ البليغ الحاذقِ

ثم ذهب به جبريل إلى سدرة المنتهى ، ذات الأغصان الوريقة والثمر
المشتهى ، وهى شجرة تخرج أنهار الجنة من أصلها ، ويسير الراكب سبعين
عاماً فى ظلها ، وإليها ينتهى ما من الأرض يعرج ، وما يهبط من فوقها
عندها يقف ومنها يخرج^(٧) ، فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت ، فما
أحد يستطيع نعت حسنها الذى لو أدركته الأبصار لتحيرت ، فأوحى الله

(٥) آدم وإبراهيم عليهما السلام .

(٦) ابنا الخالة : عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام .

(٧) فإن قيل : لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الأشجار ؟ أجيب بأن شجر
السدر يختص بالظل المديد والطعم اللذيد والرائحة الطيبة .

تعالى ما أوحى إليه ، وفرض ما فرض من الصلاة عليه ، ثم تصدق برحمته وخفّف ، وزاد الأجر مع التخفيف وضعّف ، بعد أن كلمه فى ذلك موسى شكر الله علو همّته ، وأشار عليه بسؤال الله تعالى فى التخفيف عن أمته ، ورفع حتى بلغ مستوي يسمع فيه صريف الأقلام^(٨) ، وملاً فى الملأ الأعلى أذنيه من ترجيع الكلام .

وأنزله فى روضة القرب والرضا

وأكرمه بالمنزل الأفضل الأسنى

دنا فتدلى وهو خير مُقَرَّبٍ

فكان اقتراباً قاب قوسين أو أدنى

وعظّمه بإمامة أهل السماء ، وقدّمه للصلاة بالملائكة والأنبياء ، وأحضره لمشاهدة حضرته ، وكشف له حجب غيبه وقدرته ، وأعانه على معاينة النور الأعظم ، وأعلم المقربين إليه بأنه أفضل خلقه وأعظم ، وأسمعه الأذان من لفظ ملك الحجاب^(٩) ، واستخرج لرؤيته من بحر قدرته ما يقضى له بالعجب العجاب ، وأكرم له المثوى ، وأدخله جنة المأوى ، وأوضح له الطرائق ، وأظهره على الحقائق ، وأودعه الأسرار المكنونة ، وأطلعه على الغرائب المخزونة ، وأشهده عجائب سلطانه وملكوته ، وأفرده بالنظر إلى عظمة كبريائه وجبروته ، وشمله بعنايته الوافرة والطفافة الخفية ، وأدناه دنواً تنقطع

(٨) يريد - والله أعلم - ما يكتبه الملائكة من أفضية والله عز وجل ، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ .

(٩) ورد فى ذلك عدة أحاديث حول صحتها كلام (انظر السيرة الشامية ٥٢١ / ٣) .

عنه الكيفية ، ومهد له بساط التلطف والتأنيس ، وأعلاه على المقربين من
أهل التسبيح والتقديس ، وأراه من آياته الكبرى ، وذكره فيمن عنده إن في
ذلك لذكرى .

نبيٌ قد سرى ليلاً
فسبحان الذي أسرى
نبيٌ قد أراه الله
من آياته الكبرى
نبيٌ خُصَّ بالعلياء
ورتبته بها أخرى
نبيٌ جاء بالإيمان
ن والإحسان والبشرى
نبيٌ شامخ المقدام
رفى الدنيا وفى الأخرى
سلامُ الله موصولٌ
به ما دامت الشُّعرى



فصل

فى تعظيمه وتكرمه يوم القيامة ﷺ

النبي ﷺ أول الناس خروجاً إذا نشروا ، وقائدهم إذا حشروا ، ومبشرهم إذا يثسوا ، وشفيعهم إذا حبسوا ، وخطيبهم إذا أنصتوا ، ومنجدهم إذا ذهلوا فى ذلك اليوم وبهتوا ، لواء الحمد بيده المعيرة للغيث وأنوائه ، وما من نبى - آدم فمن سواه - إلا تحت لوائه ، وهو أول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يدخل الجنة بمن معه يوم العرض ، وأفضل السابقين ، وأكرم عباد الله الصادقين ، وخير أصحاب اليمين ، وأجل من نزل عليه الروح الأمين ، وهو صاحب الحوض الشهير بالكوثر ، الذى ريحه أطيب من المسك الأذفر ، وحافته قباب اللؤلؤ المتسق ، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الورق^(١) ، طوله ما بين أيلة^(٢) إلى عمان ، يشخب^(٣) فيه من الجنة ميزابان ، أحدهما من اللجين^(٤) ، والآخر من خالص العين ، كيزانه كنجوم السماء بهجة وعدداً ، من شرب منه شربة لا يظماً بعدها أبداً^(٥) .

حوضٌ بعيد المدى أرواح مسورده

تفوح بالطيب يا طوبى لمن وردّه

(١) الورق : الفضة .

(٢) أيلة : مدينة كانت عامرة بطرف بحر القلزم من طرف الشام ، وهى الآن خراب .

(٣) يشخب : أى يسيل . (٤) اللجين : الفضة .

(٥) أحاديث حوض نبينا ﷺ متواترة عن بضع وخمسين صحابياً سردها الحافظ السيوطى فى

« البدور السافرة » .

يأتيه ماء من الفردوس مطردٌ

أحلى من الشهد يحيى نفس من شهده

كيزانه كالنجوم الزُّهرِ طالعةٌ

أوصافه بمزايا الحسن منفردة

من أمّه داخلًا في ظل صاحبه

قد هيا الله في الأخرى له رشده

وهو أول شافع وأول مشفع ، وأول من يقول فينصتُ لقوله ويسمع ،
وهو أعظم الأنبياء أجرا ، وأرفعهم ذكرا ، وأبهرهم آية ، وأبعدهم غاية ،
وأبدعهم تبياناً ، وأقطعهم برهاناً ، وأجلهم مقداراً ، وأعزهم أنصاراً ،
وأجزلهم حمداً وشكراً ، وأوفاهم توكلًا وصبراً ، وأعلمهم بالله وصفاته
وأسمائه ، وأكملهم قلباً بعظمته وجلاله وكبريائه ، وأعرفهم بشريعته
وأحكامه ، وأفهمهم لمعانى وحيه وكلامه ، وأغزرهم إحاطة بالمدارك العقلية ،
وأقربهم مجلساً من الحضرة القدسية الإلهية ، وأظهرهم سمة وعلامة ،
وأكثرهم تبعاً يوم القيامة ، يوم يؤتى الوسيلة المحفوفة بأصناف المنّة ، قال
أبو هريرة: هي أعلى درجة في الجنة ، يوم يعطى ألف قصر من اللؤلؤ ترابها
المسك السحيق ، وفيها من الأزواج والخدم ما يصلح لمثله وبه يليق .

يوم يقوم الناس أفواجاً إلى

باريهم ذى العز والتنزيه

يوم المآب والحساب واللقا

يوم يفر المرء من أخيه

يومٌ يصير الناس فيه حيارى ، ويُرَوْنَ سكارى وما هم بسكارى ، يوم
يلجأون إليه فى أمر الشفاعة ، حيث يرون تأخر غيره عنها وانقطاعه ، يوم
يقوم عن يمين عرش الرحمن ، ويكسى حُلَّةَ خضراء مُعلّمة ببلوغ المنى
والأمان ، ويؤذن له فيقول ما شاء الله أن يقول ، ويفتح عليه من الحمد
والثناء ما وردت به النقول ، يا له موقفاً تقصر عن الوصول إليه المقربون ،
ومقاماً محموداً يغبطه فيه الأولون والآخرين ، يشفع لأكثر مما فى الأرض من
شجر ، ولأزيد مما حملت علي ظهرها من حجر ، ويشفع فى تعجيل من لا
حساب عليه إلى دار القرار ، وفيمن وجب عليه العذاب وأدخل إلى النار ،
وفيمن تلفظ بالشهادة المعظمة ، وهذه المنزلة الجليلة لا تحمل لغير ذاته
المكرمة ، وكم حوى فضيلة ليس له فيها من الخلق مشارك ، على أنه ﷺ لم
يفتخر بشيء من ذلك ، شكر الله جميل سعيه وأثيل همته ، وجزاه الله
أفضل ما جزى نبياً عن أمته .

رسولٌ له يوم القيامة منزلٌ

على الذرى أعلامه الزَّهر تلمعُ

وموقف قربٍ لا يدانيه غيره

يقول فيه الذى يقول فيسمعُ

ويسأل والبارى يجيب سؤاله

ويشفع فيمن جاءه فيُشفَعُ

نبيُّ أبيِّ كان ينهى عن الأذى
ويأمر بالحسنى وبالحق يصدعُ
عليه سلام الله ما لاح بارق
وما انهلَّ من جفن السحاب مَدْمَعُ



فصل

فى أسمائه وكناه وألقابه ﷺ

أسماء النبى ﷺ وألقابه كثيرة^(١) ، وأوصافه حوت درر المحاسن ولم تغادر منها صغيرة ولا كبيرة ، فمن أسمائه محمد^(٢) وأحمد ، وهما اسمان مخصوصان بالطالع الأسعد ، منع الله تعالى أن يُسمى بهما قبل زمانه أحد من الناس^(٣) ؛ لئلا يدخل على القلوب الضعيفة شك والتباس ، وهو أحمد الحامدين والمحمودين وأكثر الناس حمدا ، وهو حامل لواء الحمد يوم يحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ، ومنها الماحى والحاشر ، والمقدس^(٤) والطاهر ، فالماحى الذى يمحو الكفر بكلمه ، والحاشر الذى يحشر الناس على قدمه^(٥) ، والنجم الثاقب^(٦) ، والمصلح والعاقب ، وهو الذى لا نبى بعده ، ولا يعقب

(١) أفردھا بالتصنيف خلائق ، ونظمھا جماعة منهم الإمام القرطبى المفسر والعلاقة الزينى عبد الباسط بن الإمام البلقينى ، ورتبھا على حروف المعجم الحافظ السيوطى فى «الرياض الأنيقة» وهو مطبوع ، وكذلك الحافظ الشامى فى «السيرة» .

(٢) وهو أشهر أسمائه ﷺ وأجلُّها ، ولذلك اختص بأمور منها : أنه لا يصح إسلام الكافر حتى يتلفظ به ، ومنها يتعين الإتيان به فى التشهد ولا يكفى غيره من أسمائه ، ومنها أن آدم يكنى به فى الجنة دون سائر بنيه .

(٣) الذين سُمُوا فى الجاهلية باسم محمد دون العشرين وهم (المحمدون) ، وحمى الله تعالى هؤلاء أن يدعى أحد منهم النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه شيء من سماتها ، حتى تحققت لبنينا ﷺ .

(٤) المقدس : المطهر من الذنوب المبرأ من العيوب .

(٥) معناه أنه يقدمهم وهم خلفه ؛ لأنه أول من تنشق عنه الأرض ، ثم تحيى كل نفس فيتبعونه .

(٦) الثاقب : المضىء .

جزرُ ذى رسالة مدَّة ، والشاهد والمبشر والنذير ، والداعى إلى الله بإذنه
والسراج المنير ، والمُقَفَّى^(٧) والقُتْم^(٨) والقُثُوم^(٩) ، وهذا الاسم الأخير فى آل
بيته معلوم^(١٠) .

يا سيِّداً أسماؤه قد سمَّتْ

وفى معانيه تحار الحُلُومُ

ومن حوت أزهار ألقابه

نَشَرَ شَذَى تُطَوِّى عليه الرقومُ

ومن له فضلُ أياديه لا

تحصى ، وهل تحصى درارى النجوم؟!

أنت الذى أنوار أعلامه

تهدى إلى الحكمة أهل العلوم

ومن أسمائه المدثر والمزمل ، والمختار والمتوكل ، والرؤوف الرحيم ،
والصراط المستقيم ، والحق المبين ، والصادق الأمين ، فالحق هو المُحَقِّق
صدقه وأمره ، والمبين الذى بين ما بعثه به من جلّ ذكره ، وطه ويّس^(١١) ،
ورحمة للعالمين ، وسيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وإمام المتقين ، وقائد

(٧) المُقَفَّى : الذى ليس بعده نبي . وقيل : المتبع آثار من قبله من الأنبياء . وقال شمرٌ :
المقفى والعاقب واحد .

(٨) القُتْم : هو الإعطاء ، سُمى بذلك ﷺ لجوده وعطائه .

(٩) القُثُوم : الجامع لخصال الخير والفضائل كلها .

(١٠) يشير المؤلف إلى كونه اسماً لعنم النبي ﷺ .

(١١) ورد ذلك عند ابن مردويه بسند ضعيف عن أبى الطفيل رضى الله عنه .

الغُرَّ المحجلين ، ونعمة الله على الخلائق ، وعبد الله المعبد للطرائق ، ونبي
الرحمة والرحمة ، ورسول التوبة والملحمة ، وهى إشارة إلى ما بعث به من
القتال ، وما أمر به من ردع المشركين بجد النضال وحدّ النضال ، وخليل
الرحمن ، وحبيب الملك الديان ، ومقيم السنة وروح الحق ، والشفيع المشفع
فى الخلق ، وصاحب الوسيلة ، والدرجة الرفيعة والفضيلة ، والحوض
المورود ، والمقام المحمود ، والبراق والمعراج ، والهراوة^(١٢) والتاج ، وما المراد
به تاج ملك مؤه بالذهب ، بل العمامة لأن العمائم تيجان العرب .

بك يا رسول الله يا علم الهدى
تشرف الألقاب والأسماء
وبيمن طالعك السعيد قدومه
ذهب الظلام وآت الأضواء
وبنصر نصلك سر كل موحد
وبعز عزمك ذلت الأعداء
سقى لأمتك التى طابت لهم
بنبيهم بين الورى الأنبياء

وهو ﷺ ذو الحجة والسلطان ، والعلامة والبرهان ، ورب اللواء
والقضيبي^(١٣) ، وراكب الناقة والنَّجيب ، وسيد ولد آدم ، والمهيمن والفاتح

(١٢) الهراوة : العصا ؛ لأنه كان يمشى والعصا بين يديه ، وتغرّز له فيصلى إليها .

(١٣) القضيبي : أى السيف الرقيق ، وهى صفته فى الإنجيل .

والخاتم ، والمصطفى والمجتبى والكريم ، وأبو القاسم وأبو إبراهيم ، والنبى
الأمى والهادى والنور ، والعروة الوثقى التى من تمسك بها نال الغبطة
والسرور ، والبارقليط وهو الذى يفرق بين الحق والباطل^(١٤) ، وحمطايا^(١٥)
ومعناه حامى الحرم بالمرهفات^(١٦) والذوابل^(١٧) ، ولعمري إنها أسماء على
مسمى جليل ، وألقاب علت بذى فضلٍ أثير^(١٨) وقدرٍ أثيل^(١٩) ، فمنها ما
ورد فى حديثه الصحيح ، ومنها ما ذكر فى القرآن الكريم باللفظ والتصريح ،
ومنها ما جاء فى التوراة والإنجيل ، ومنها ما عرف من الكتب البعيد عهدا
من التنزيل ، ومنها ما سماه الله تعالى به من أسمائه الحسنى ، وفى ذلك ما
فيه من التعظيم الأسمى والتشريف الأسنى .

أسماءه وصفاته معلومة

عند الرواة وعُرفه معروفٌ

وخلاله مأثورة وخصاله

مسطورة وجلاله موصوفٌ

(١٤) وقيل معناه : الحامد ، وقيل : الحماد ، وقيل : المخلص .

(١٥) وضبطه الهروى فى الغريب : حميطا .

(١٦) المرهفات : المرهف : السيف الذى رقت حواشيه .

(١٧) الذوابل : جمع ذابل وهو الرمح الدقيق .

(١٨) الأثير : المفضل على غيره .

(١٩) الأثيل : المؤصل .

أكرم به سمحاً عطافُ نواله
أبدأً على قُصَّاده معطوفُ
براً أميناً صادقاً صدقاته
المنُّ عنها والأذى مصروفُ
منِّي عليه تحيةٌ مسكيةٌ
بفناء طيبة^(٢٠) طيبها معكوفُ



(٢٠) طيبة : من أسماء المدينة المنورة بنور ساكنها ﷺ .

فصل فى معجزة القرآن الكريم

اعلم أن النبى ﷺ له معجزاتٌ أدلتها قاطعة ، وكراماتٌ لأنواع الغرائب جامعة ، وكلمات صادقة صادقة ، وآيات للعادات خارقة ، رآها فى محافل المسلمين الجُم الغفير ، ورواها الثقات عن العدد الكثير ، لا تزداد مع تقادم العهد إلا ظهوراً ، ولا يزد سراجها مع اجتهد الملحدِين على إطفائه إلا نوراً ، فمن معجزاته ما جاء به من القرآن المجيد، المنزل عليه بالحق من حكيم حميد ، الذى عقل بحسن تأليفه العقول ، وأناف^(١) بالتثام كلمه على كل مقول، وأخرس بإيجازه فصاحة العرب ، ورمى بلغاءهم من إعجازه بحرَاب الحرب ، وخرق عاداتهم بأسنة بلاغته ، وأوقعهم فى الحفر بسعة فصاحته ، على أنهم كانوا فرسان الكلام ، وزعماء الثار والنظام ، لا يَشْكُون أن البيان طوع مُرَادهم ، وأن الحكمة جاريةٌ فى ملك سعدهم وسُعَادهم .

كانوا ذوى فصاحةٍ ومقولٍ

مستملح الأوصاف والنعوت

لكن أتاهم بالصواب ناطقٌ

ألقاهم فى علّة السكوت

(١) أناف : علا وشرف .

يا له كتاباً أحكمت آياته ، وفُصِّلَت كلماته ، وبهرت مطالعه ، وزهرت
مقاطعه ، وقهرت جوامعه ، وظهرت بدائعه ، وأنارت زجاجة براعته ،
وأضأت ديباجة عبارته ، ورست قواعد إيجازه وإعجازه ، ورقت وطائد
حقيقته ومجازه ، واعتدل حسن نظمه ، وزها فريد حُكْمِهِ وحِكْمِهِ ،
واتَّسقت عقود فرائده ، واطَّردت أنهار فوائده ، وحَسُنَ ترصيعه وترصيفه ،
وخصَّ بالبيان والبديع تأليفه ، وجمع بين فصاحة الألفاظ وقوة الجزالة ،
وأقام من بلاغته على وجوه العجز عنه أوضح الدلالة ، وأدهش النواظر
بطلاوته ، وحرَّك الألسن بوصف حلاوته ، وحيَّر الأفكار فنه العجيب ،
وسلب الألباب أسلوبه الغريب .

وأنا مشكاة الوجود وقد غشى

ديجورها^(٢) بالضوء من آياته

وأراح أرواح السعاة لروضه

بلذيد عَرَفَ الزهر من زهراته

وأمد طالبه وقاصد بحرهِ

باللؤلؤ المكنون من كلماته

وأثاب حامله وسامعه ومن

يتلوه ما يجنيه من جنَّاته

واشتمل على العلوم والمعارف ، وذكر الشرائع القديمة وأخبار القرون
السوالف^(٣) ، وأنباء الأمم الخالية ، وسرد القصص الماضية ، وشرح أحوال

(٢) الديجور : الظُّلْمَة .

(٣) السوالف : جمع سالفه ، وهى الماضية .

الدار الآخرة ، ونشر ما انطوت عليه الكتب الغابرة ، من بدء الخلق وإعادتهم ، وأسباب شقاوتهم وسعادتهم ، والتنبيه على طرق الحجج العقلية ، والرد على الفرق بالبراهين البينة والأدلة القطعية ، وكشف أسرار المنافقين وأهل الكتاب ، ووبّخهم على الكذب والعدول عن الصواب ، إلى غير ذلك من النواهي والأوامر ، والموانع والزواجر ، والسير والأمثال ، والتحريض على القتال ، والمواعظ والحكم ، ومحاسن الآداب والشيم ، والوعد والوعيد ، والتنزيه والتوحيد ، والتقدير والترتيب ، والترغيب والترهيب ، والروعة التى تعترى القلوب عند سماع قراءته ، والهيبة التى تطرق الأسماع لدى تلاوته .

كتابٌ يخص المؤمنين بوعدِهِ

ويحيى قلوب العارفين بوعدِهِ

ويهدى سنا هدى لتالى حروفِهِ

ورامقها بين الرُّقُوقِ^(٤) بلحظه

لقد حارت الأفكار فى حسن نظمه

وسر معانيه وجوهر لفظِهِ

فسُقيا لمن يقفو مناهج حقه

ورعياً لعبدٍ عُدَّ من أهل حفظِهِ

وكم حوى مجموعه وحاز ، نوعاً من أنواع الإعجاز ، قصرت العرب عنها ، وعجزت عن الإتيان بواحد منها ، إذ كانت خارجة عن قدرتهم ،

(٤) الرُّقُوق : الأرض اللينة المتسعة .

مباينة لكلامهم وفصاحة ألسنتهم ، وما منهم إلا من بذل جهده ، واستنفذ جميع ما عنده ، وقصد إطفاء نوره ، واجتهد فى إخفاء ظهوره ، فما جلوا خبيئه من بنات شفاههم ، ولا برزوا بقطرة من معين مياهم ، مع طول المدة وكثرة العدد ، وتظافر الوالد وما ولد ، بل ألبسوا فما نبسوا^(٥) ، وجلسوا صاغرين لما أيسوا ، ثم أنه لا يُعدُّ من سعى من المعطلة فى تعطيله ، ولا يحصر من ثابر من الملاحدة على تغيير محكمه وتبديله ، وأجمعوا كيدهم وقولهم ، واستفرغوا قوتهم وحولهم ، فما قدرُوا على تحويل كلمة من تأليفه ، ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه ؛ لأن الله تكفل بحفظه ، ومنع من التعرض إلى شئ من لفظه ، وبالجمله فلم يوجد قبله ولا بعده له نظير ، ولا استطاع أحد مماثلة فصل منه طويل ولا قصير ، بل حارت فيه العقول وتاهت الأحلام ، وجفَّت الصحف عن معارضته ورفعت الأقلام ، وهو من باب الخوارق الممتنعة عن البدو والحضر ، ولا يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ولا غير البشر ، يعرف ذلك من تفنن فى علوم هذا الشأن ، وأرهف خاطره الخاطر أدب صناعة اللسان .

تَبَّأَ لآرَاءِ ذِي عَنَادٍ

لا يهتدى خاسر التجاره

يريد إطفاء نور ذكر

الله رب الع_____لا أناره

(٥) ما نبسوا : أى ما تكلموا .

و خاب من رام أن يغشى

حلاوة الحق بالمراره

يا ويله من لهيب نار

وقودها الناس والحجاره

وهو الذكر الحكيم ، والقرآن الكريم ، والنور المبين ، وحبل الله المتين ،
والربيع للقلوب ، والمأوى للذنوب ، والنافع الشافى ، والكافل الكافى ،
والنجاه لمن تبعه ، والهدى لمن قرأه أو سمعه ، يَنْفِرُ عنه الذين أذهب الشرك
لُبَّهُم ، وتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، يؤتى تاليه طلاقه وبشاشه ،
ويكسب قارئه ارتياحاً وهشاشه ، لا يمله القارئ ولا المستمع ، ولا تحصى
الألسنة ثناءً على فضله المجتمع ، حجتة قاهرة ودرجته عليا ، وآيته البينه
باقية ما بقت الدنيا ، لا يزال غضاً طرياً ، ولا يبرح عذباً شهياً ، تكريره
يزيده حلاوة ظاهرة ، وترديده يوجب المحبة الوافرة ، يُسْتَأْنَسُ به فى
الخلوات ، وَيُسْتَلَذُّ بترتيله فى الصلوات ، لا تفنى عجائبه ، ولا تطوى
غرائبه ، ولا تنقضى عبره ، ولا تضحل درره ، ولا يبلى على كثرة الترداد
جديد وصفه ، ولا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، من قال به
صدق ، ومن رمى به حرق ، ومن حكم به عدل ، ومن أقسم به برئ من
العدل ، ومن عمل به حصل على الأجر العظيم ، ومن تمسك به هدى إلى
صراط مستقيم .

تمسك بحبل الله أعنى كتابه

وقف عنده فهو المجيد المعظم

يبشر أهل الصالحات بنعمة

وفضل ويهدى للتي هي أقوم

وينذر أقواماً عن الحق أعرضوا

وبالعدل والإنصاف يقضى ويحكم

به نزل الروح الأمين^(٦) منجماً^(٧)

على خير مبعوث يرق ويرحم

محمد الهادي الذي بجناحه

يلوذ فصيح في المعاد وأعجم

عليه سلام من سلام مهيمن

مدى الدهر لا يفنى ولا يتصرم^(٨)



(٦) الروح الأمين : جبريل .

(٧) منجماً : متفرقاً حسب الأحداث والأحوال .

(٨) لا يتصرم : لا يتقطع .

فصل

فى انشقاق القمر وحبس الشمس وتكثير الماء له ﷺ (*)

ومن معجزات رسول الله ﷺ أن أهل مكة سألوه أن يريهم آية ، وذلك لقلة اليقين منهم وكثرة الغواية ، فأراهم انشقاق القمر فرقتين ، حتى رأوا حراء يلوح بينهما علماً بين شعلتين ، وقال : «اشهدوا» وهم حينئذ بمنى ، فأنصب على أعدائه الأذى كما حصل أصحابه على المنى ، فجعلها أبو جهل من حمقه سحرا ، وقال : ابعثوا إلى أهل الآفاق طراً ، فأخبر أهل الآفاق أن معجزته كانت حقا ، وأنهم عاينوا القمر تلك الليلة منشقا^(١) ، ومنها أن الشمس ردت لعلى بدعائه^(٢) ، وكلاهما زهرة من أرضه وقطرة من سمائه ،

* قدم القاضى عياض لأبواب معجزات نبينا ﷺ بمقدمة جامعة نافعة نوردها بتصرف بسيط ، قال رحمه الله : حَسْبُ المتأمل أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لنكر نبوة نبينا ﷺ ولا لطاعن فى معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا تتوصل المطاعن إليها . . بل ألفناه لأهل ملته الملبين لدعوته إيماناً مع إيمانهم وأثبتنا فى هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهد آياته الدالة على عظيم قدره عند ربه ، وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثرها مما بلغ القطع أو كاد (١ / ٢٤٦) . قلت : وهذا ما سلكه أيضاً ابن حبيب فى تلك الأبواب ، وما عدا ذلك - وهو نادر - فبينت حاله .

(١) أحاديث انشقاق القمر لنبينا ﷺ صحيحة ، والقرآن مُصَرَّحٌ بهذا ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول أو تشكيك بعض المعاصرين كالشيخ الغزالى : انظر : (السيرة الشامية ٩ / ٤٣٠) .
(٢) حديث « ردّ الشمس على على » أورده ابن الجوزى فى الموضوعات (١ / ٣٥٥) ، وصححه الطحاوى ، وصاحب الشفا ، وأخرجه ابن منده وابن شاهين وابن مردويه والطبرانى بأسانيد بعضها على شرط الصحيح كما نص على ذلك السيوطى فى الخصائص الكبرى (٢ / ١٣٧) ، انظر : المقاصد الحسنة (٥١٩) ، كشف الخفاء (١٣٧٩) ، =

طلعت بعد ما غربت ، وشبت نار ذهبها بعد أن ذهبت ، ووقفت على الأرض وقفة ممتل لما يؤمر ، وكان ذلك بالصهباء فى خير ، وحبت بدعائه الشمس ساعة وقريش ينظرون ، وزيد له فى النهار بعد أن اكتحلت بالقار منه الجفون ، وجرت هذه الكرامة التى ليس لها نظير ، فى واقعة الرفقة والعلامة التى فى العير ، وكان الغمام يُظله حيث سار ، وفئ الشمس يدور معه كيفما دار^(٣) .

سبحان من أيدَّ خير الورى
بمعجزاتٍ خارقاتٍ غزار
وأمسك الشمس له ساعة
وردها طوعاً وزاد النهار
وشقَّ بين الناس بدر الدجى
شقاً أولو الألباب فيه تحار
هذا عطاء لمن اختاره
من هاشمٍ من مُضِرٍ من نزار

= الشذرة (٤٥٦) ، واللائى (١ / ٣٣٦) ، وفتح البارى (٦ / ٢٢١) ، السيرة الشامية (٩ / ٤٣٥) ، وأفردتها بالتأليف الحافظ الشامى فى « مزيل اللبس من حديث ردّ الشمس » وهو مخطوط .

(٣) حديث حبس الشمس عزاه الحافظ الشامى فى سيرته (٩ / ٤٣٤) إلى الطبرانى ، وحسنه الهيثمى فى مجمع الزوائد ، ورواه البيهقى فى دلائل النبوة ، وإلى ذلك أشار الحافظ ابن سيد الناس فى كتابه « بشرى اللبيب بلقاء الحبيب » :

وقفت له شمس النهار كرامة كما وقفت شمس النهار ليوشعا
وردت عليه الشمس بعد غروبها وهذا من الإكرام أعظم موقعا

ومنها أن الناس التمسوا الماء فلم يصلوا إليه ، فطلب فضل ماء وصبه في إناءٍ وضع بين يديه ، ثم إنه عليه الصلاة والسلام وضع فيه كفه الميمون ، فجعل الماء يسيل من بين أصابعه كأمثال العيون ، فتوضأ الناس عن آخرهم وكانوا ألفاً وخمسمئة ، ولو كانوا مائة ألف لكفاهم ببركة يمين من لا يُمين^(٤) ، وأقبل الناس في غزوة تبوك إلى العين ، وهي تبض^(٥) بشيء من الماء دون عشرِ القلتين ، فغسل منه وجهه ويديه ، ثم أمر بإعادة الغسالة إليه ، فجرت بماء كثير ارتوى منه الجيش ، وزال ببركته الظمأ وطاب العيش ، وورد الناس بئر الحديبية ، وهم إذ ذاك أربع عشرة مائه ، فلم يتركوا منها قطرة ، واذهبوا قلَّ مائها وكثره ، فقعد على جبَّاه^(٦) ، ودعا لها واستدعاها ، فجاشت^(٧) كبحرٍ طما^(٨) أو غيث هتن^(٩) ، فروى الناس حتى ضربوا بعطن^(١٠) .

(٤) أحاديث نبع الماء من بين أصابعه ﷺ متواترة : انظر دلائل النبوة للبيهقي (١١ / ٦) واللؤلؤ والمرجان (١٤٦٨) ، والشفاء (١ / ٢٨٥) ، ومسند أحمد (٣ / ٣٤٣) ، والسيرة الشامية (٩ / ٤٤٧) ، وشرح السنة للبغوي (٣٦٠٧) وهذه الآية من أعجب الآيات أعجوبة وأجلها معجزة وأبلغها دلالة شاكلة دلالة موسى في تفجير الماء من الحجر حين ضربه بعصاه ، بل هذا أبلغ في الأعجوبة لأن نيوح الماء من بين اللحم والعظم أعظم وأعجب من خروجه من الحجر .

(٥) تبض : من البصيص وهو البريق واللمعان ، وبالعطف المعجمة : القطر والسيلان القليل .

(٦) الجبَّأ : هو ما حول فم البئر .

(٧) جاشت : فارت وارتفعت .

(٨) طما : ارتفع ماؤه .

(٩) هتن : هطل وتتابع مطره .

(١٠) انظر مسلم كتاب الجهاد (١٣٢) ، وأحمد (٥ / ٢٣٧ ، ٢٣٨) . والعطن : واحد

الأعطان ، وهو مَبْرُكُ الإبل عند الماء ، ومعناه : أنهم رَوُّوا وأرَّوا إبلهم ، فأبركوها عند الماء .

من كفٍّ مُخْتَارِ الكَفَافِ مُحَمَّدٍ

خير الورى نبع الزلال الطاهرُ

روى من الماء القليل جيوشه

حيث الأوام^(١١) له دليل ظاهرُ

ومن العيون الناضبات أسال ما

هو للعيون من العساكر باهرُ

لا غرو أن يجرى لديه مَعِينُهُ

ومُعِينُهُ الملك العزيز القاهرُ

وشكا الناس إليه العطش فى بعض الأسفار ، فدعا بالمِيضَاة^(١٢) وجعلها من ضَبْنِهِ^(١٣) فى محل الإزار ، ثم التقم فمها فحلَّت عليها البركة والسعادة ، فشرب الناس وملأوا آنيتهم وكانوا سبعين رجلاً وزيادة^(١٤) ، وأما الحديث المروى عن عمران بن حصين ، فى قصة المرأة والبعر والمزادتين^(١٥) ، وما شرب الناس من مائهما عند الظمأ فى السفر ، فهو حديث يعرفه الثقات من أهل العلم والأثر^(١٦) ، ولقد أصاب الناس شدة من العطش فى جيش

(١١) الأوام : شدة العطش .

(١٢) المِيضَاة : هى آلة الوضوء ، مطهرة كبيرة .

(١٣) الضَبْنُ : ما بين الكشح إلى الإبط .

(١٤) انظر : صحيح مسلم (١ / ٤٧٢) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٣٢) ، وشرح السنة

للبخارى (٣٦١٠) ، والنسائى (١ / ٧٦) ، وأحمد (١ / ٣٩٨) .

(١٥) المَزَادَاتان : المَزَادَةُ أكبر من القربة ، والمَزَادَاتان حمل بعير ؛ سميت مَزَادَةً لأنه يزداد فيها من جلد آخر .

(١٦) انظر البخارى (٣٥٧١) ، ومسلم (١ / ٤٧٤) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٣٠) .

العُسرة^(١٧)، حتى أن الرجل لينحر بغيره فيشرب عصير فَرثه^(١٨) من فرط
الحرّة، فرغب أبو بكر في الدعاء إليه ، فرفع -زاده الله شرفاً لديه- يديه ،
فلم يرجعاً حتى أتت السماء من ديمها^(١٩) بما لا يحصر ، فملأوا ما معهم من
الأنية ولم تجاوز العسكر^(٢٠) ، وعطش أبو طالب وهو رديفه بذي المجاز^(٢١) ،
وليس هناك ما يملك ولا يُحاز ، فنزل وضرب الأرض بقدميه ، فخرج الماء
يفور ببركته صلى الله عليه ^(٢٢).

قف سائلاً أرض المجاز وما جرى

منها وسال بجانب المنهاج

وسل الحديية النزوحة بئرها

وتبوك عند تلاطم الأمواج

وبقاع جيش العُسرة اللاتي همت

بركات ماء سمائها الثجاج

تخبرك عن آيات أشرف مرسل

ركب البراق وسار للمعراج

صلّى عليه الله ما ذهب الدجا

وأتى الضحى بسراج الوهاج

(١٧) يعنى غزوة تبوك . (١٨) الفَرث : بقايا الطعام فى الكَرش .

(١٩) الدِّيم : جمع ديمة : المطر يطول زمانه فى سكون .

(٢٠) انظر الشفا (١ / ٢٩٠) .

(٢١) ذو المجاز : سوق عند عرفة من أسواق الجاهلية .

(٢٢) انظر جمع الجوامع (٢/ ٥٧٢) ، والديلمى (٦٩٥٥) ، والسيرة الشامية (٩/ ٤٦٣) .

فصل

فى تكثير الطعام ببركته ﷺ

ومن معجزاته أنه أطعم سبعين رجلاً من أقراص شعير ، كان أنسٌ قد جاء منها تحت إبطه باليسير وهو يسير ، بعد أن تقبلها بالقبول ، وقال فيها ما شاء الله أن يقول^(١) ، وأطعم يوم الخندق باتفاق الحُذَّاق ، ألف رجل من صاع شعير وعَنَّا^(٢) ، بعد أن بصق وبارك فى العجين والبرمة^(٣) ، والقصة معروفة من حديث جابر تغمده الله بالرحمة^(٤) ، وصنع أبو أيوب له عليه الصلاة والسلام ، ولأبى بكرٍ معه زهاء ما يكفيهما من الطعام ، قال : فأجبت أمره ودعوت الأنصار ممثلاً ، فأكل من طعامى يومئذ مائة وثمانون رجلاً ، وأتى بقصعة فيها لحم فتعاقبها الصادرون والواردون ، ولم يبرحوا من الغداة إلى العشى يقوم قوم ويقعد آخرون^(٥) ، وصنعت شاةً فشوى سواد بطنها^(٦) لديه ، وكان معه ثلاثون ومائة من أصحابه صلى الله عليه ، قال عبد الرحمن بن

(١) انظر البخارى (٣٥٧٨) ، ومسلم (٣ / ١٦١٢) ، والترمذى (٣٦٣٠) ، ودلائل

النبوة للبيهقى (٦ / ٨٨) ، وموطأ مالك (٩٢٧) ، ودلائل النبوة لأبى نعيم (١٤٧) .

(٢) العَنَّا : الأثنى من ولد المعز قبل استكمالها الحول .

(٣) البرمة : القدر من الحجر .

(٤) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٣) ، والبخارى (٥ / ٤٦) والسيرة الشامية

(٤ / ٥٢٠) ، والبداية والنهاية (٤ / ٩٧) .

(٥) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٠٩ - ٣١١) ، والطبرانى فى الكبير (٤ / ٢٢١) ،

والبداية والنهاية (٦ / ١٢٧) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٩٤) .

(٦) هو الكبد ، وقيل : حشو البطن كله .

أبى بكر فى حديثه المشهور : وأيم الله ما منهم إلا وقد حزَّ له حُزَّةٌ^(٧) من السواد المذكور^(٨) .

يا مُطْعِمَ المسكين والأسير
وجابرَ اليتيم والكسير
ويا جَوَاداً زادَ زادُ صحبه
ومن قليل جاء بالكثير
من ذا الذى ينكر ما تأتى به
يا رحمة المهيمن القدير
كم آيةٍ جئت بها بينة
ليس لها فى الخلق من نظير

وأصابت الناس مخمصة^(٩) فى بعض مغازيه ، فجمع من الأزواد ما ربضة^(١٠) العنز توازيه ، ثم دعا الناس بأوعيتهم الخلية ، فلم يبق فى الجيش وعاء إلا ملئ وبقيت بقية^(١١) ، وأمر أبا هريرة -رضى الله عنه- أن يدعو له أهل الصفة ، فتبعمهم حتى جمعهم ووضعت بين أيديهم صحفة^(*) ، يا لها

(٧) حُزَّةٌ : القطعة من اللحم المحزوزة ، وبفتح الحاء المرة من الحز .

(٨) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١١) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٩٥) ، وفتح البارى (٥ / ٢٣٠) ، ومسلم (١٦٢٦ - ١٦٢٧) ، وأحمد (١ / ١٩٧) .

(٩) المخمصة : المجاعة .

(١٠) يقال : ربضت الغنم تربض ربوضاً ، وهو من البقر والغنم والفرس والكلب مثل البروك من الإبل والجثوم من الطير .

(١١) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٢) ، ومسلم (٥٦ / ١) ، والبخارى (٢٩٨٢) .
(*) الصَّحْفَةُ : دون الجفنة وفوق الكيلة .

صَحْفَةً تَخْجَلُ مَنْ جَفَانَهُ الْغُرَّ فِي الضَّحَى لَمَعَتْ ، وَأَكَلُوا مِنْهَا مَا شَاءُوا
 وَفَرَّغُوا وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وَضَعْتَ ، وَسَقَى جَمِيعَهُمْ مِنْ قَدَحِ لَبَنٍ ، فَرَوَوْا مِنْهُ
 حَتَّى كَادُوا أَنْ يَضْرِبُوا بَعْظَنَ^(١٢) ، وَجَمَعَ بَنَى عَبْدَ الْمَطْلَبِ وَكَانُوا أَرْبَعِينَ ،
 فَصَنَعَ لَهُمْ مَدًّا مِنْ طَعَامٍ فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا أَجْمَعِينَ ، وَدَعَا بَعْسُ فَشَرِبُوا حَتَّى
 بَلَّغُوا مِنْ رِيهِمِ الْمَطْلَبِ ، وَبَقِيَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ كَأَنَّهُ لَمْ يُؤْكَلْ وَلَمْ
 يَشْرَبْ^(١٣) ، وَأَمَرَ مَرَّةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنْ يَزُودَ أَرْبَعَ مِائَةَ مِنَ الرِّكَابِ وَعَيْنَ لَهُ
 تَمْرًا قَدَرِ الْفَصِيلِ الرَّابِضِ^(١٤) ، فَأَعْطَى مِنْهُ كَلًّا مِنْهُمْ مَا شَاءَ وَهُوَ بِهِ رَاضٍ
 وَعَلَيْهِ قَابِضٌ^(١٥) .

أَفَادَ صَحَابَهُ خَيْرًا وَمِيرًا
 وَقَدْ جَاؤَا بِأَوْعِيَةِ خَلِيَّةٍ
 وَأَطْعَمَهُمْ كَثِيرًا مِنْ قَلِيلٍ
 وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْجَلِيلِ
 وَأَتَحَفَ مِنْ دَنَا مِنْهُ وَوَافَى
 إِلَيْهِ مِنَ الْهَدَايَةِ بِالْهَدِيَّةِ
 وَكَمَ لِلْمُصْطَفَى مِنْ مَكْرُمَاتٍ
 تَفِيدُ وَمِنْ كَرَامَاتٍ عَلَيْهِ

-
- (١٢) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٥) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٠١) ،
 والبخارى (٦٤٥٢) ، ومستدرک الحاكم (١٥ / ٣) .
- (١٣) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٧) ، وعزاه فى السيرة الشامية (٩ / ٤٧٦) إلى
 ابن جرير وابن أبى حاتم ، والعُس : قدح كبير من خشب .
- (١٤) الْفَصِيلُ : ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه وفصله عن أمه .
- (١٥) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٩) ، والسيرة الشامية (٩ / ٤٨٤) .

وحديث مَزُود^(١٦) أبي هريرة معروف ، وما حصل فيه من بركة يده الكريمة موصوف ، أطعم منه الجيش وجماعة من صحبه ، وحمل من تمره كذا وكذا وَسَقًا^(١٧) فى سبيل ربه ، وآثر الناس منه مدة من الزمان ، واستمر على ذلك إلى أن ذهب منه فى قتل عثمان^(١٨) ، وخبر جابر مع غرماء أبيه مذكور ، وتكثير التمر عند وفاء ديونهم بدعائه مسطور^(١٩) ، وقصة قَدْر فاطمة سيدة نساء العالمين ، وفيضه بعد أكل الجمع الكثير منه لا يخفى عن أئمة المحدثين ، وكذا حديث وليمتها بالأمداد والجزور ، وما فضل بعد أكل الناس كافة مأثور^(٢٠) ، ولما ابتنى بزینب أمر بأن يُدعى له الناس ، ويُقدّم إليهم مُدًّا من تمر بعد أن يُحاس^(٢١) ، فجعلوا يأكلون ويخرجون زمراً زمراً ، قال أنس : وكان القوم أكثر من سبعين نفرأ ، بل كانوا زهاء ثلاثمائة فى رواية أخرى ، وهذا سهل لديه ﷺ ولو كانوا عدد جيش كسرى^(٢٢) .

أنسٌ ونَجْلُ عَتِيقِ الْعَدْلِ الرضا

وأبو هريرة وابن خطابٍ عمر

-
- (١٦) المَزُود : الوعاء من جلد وغيره يجعل فيه الزاد .
 (١٧) الوَسَقُ : مِكِيلَةٌ معلومة ، وهى ستون صاعاً ، والصاع خمسة أرطال وثلاث .
 (١٨) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٥) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٠٩) ،
 والترمذى (٥ / ٥٨٥) وقال : حسن غريب ، والسيرة الشامية (٩ / ٤٧١) .
 (١٩) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٦) ، والبخارى (٤٠٥٣) ، وشرح السنة
 للبغوى (٣٦١٦) ، والنسائى (٤٦ / ٦) .
 (٢٠) انظر تفسير ابن كثير (٢٩ / ١) ، والشفأ (١ / ٢٩٧) وعزاه للآجرى ، وعزاه فى
 السيرة الشامية (٩ / ٤٨٣) إلى أبى يعلى .
 (٢١) يُحاس : الحِيسُ هو التمر يتزع نواه ويخلط بالسويق .
 (٢٢) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٦) ، والسيرة الشامية (٩ / ٤٨١) .

وكذا أبو أيوب يتبعُ جابراً
كلُّ روى ما قد رواه من الخبرُ
ذكروا الطعام وما تزايد فيه منُ
بركات من بدعائه نزل المطرُ
هو أحمدٌ رب القراءة والقرئ
صلَّى عليه الله ما طلع القمرُ



فصل

فى كلام الشجر والحجر وطاعتهما له ﷺ

ومن معجزات رسول الله ﷺ أن المسجد كان على جذوع نخل مسقوفاً ، وكان إذا خطب يلزم فى قيامه جذعاً منها معروفاً ، فلما صُنِعَ منبره العلىّ الدَّرَج الرّفيع المنار ، سمع الناس لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشَار^(١) ، حتى ارتجّ المسجد بخواره ، وكثر البكاء لتصدعه وانكساره ، فوضع يده الكريمة عليه فسكت ، والتزمه لما علم حنينه إليه فصمت ، ولو لم يلتزمه -أعلى الله مقامه- لبقى كذلك إلى يوم القيامة^(٢) ، وفى رواية أنه دعاه فجاء يخرق الأرض طائعاً ، فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه راجعاً ، وفى أخرى قال له : إن شئت أردك إلى ما كنت فيه مع الشجر ، تنبت عروقتك ويكمل خلقك ويُجَدِّد لك خوص وثمر ، وإن شئت أغرسك فى الجنة ، فقال : بل تغرسنى فيها ولك المنّة ، رغب لسعادته فى دار البقاء ، واختارها لخيره على دار الفناء ، وفى رواية فأمر به فدفن تحت منبره ليصلّى إليه ، فلما هدم المسجد أخذه أبى فكان عنده رحمة الله عليه .

(١) العِشَار : جمع عُشراء ، وهى الناقة التى انتهت فى حملها إلى عشرة أشهر .

(٢) أحاديث حنين الجذع متواترة عن جمع غفير من الصحابة . انظر : دلائل النبوة لأبى

نعيم (ص ٢٩٧ - ٣٠٠) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٦٦) ، وسنن ابن ماجه

(١٤١٤) ، والبخارى (٣٥٨٤) . ونظم المتناثر (١٣٤ - ١٣٥) ، والأزهار المتناثرة

(٣٦) ، والخصائص الكبرى (٢ / ١٢٦) ، والزرقانى على المواهب (٥ / ١٣٣) ،

ومثير الغرام الساكن (٤٦٩) ، والسيرة الشامية (٩ / ٤٩٤) .

الجدع حنَّ إلى الرسول المصطفى
بالله أقسم أنه معذور
قد كان حال القرب من أنواره
فى نعمة إقبالها مأثور
فغدا لفرقة بدره متصدعاً
يبدى الأئين وقلبه مكسور
من ذا الذى يقوى على هجران من
بين البرية فضله مشهور

وخرج إلى نواحي مكة فى بعض الأيام ، فما استقبله شجرٌ ولا حجرٌ إلا شافهه بالسلام^(٣) ، ولما أتى جبريل بالرسالة المعظمة إليه ، جعل لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه^(٤) ، وأمنت الأبواب والجدران على دعائه^(٥) ، وكان كل من الحجر والشجر يسجد له إذا مرَّ بإزائه ، وعرض الإسلام على بعض الأعراب ، فقال : من يشهد لك على ما تقول بالصواب ، فأشار إلى سمرة^(٦) بشاطئ الوادى ، فأقبلت تخذ^(٧) الأرض بحضرة الحاضر والبادى ،

(٣) انظر دلائل النبوة للبيهقى (١٥٣/٢) ، والترمذى وحسنه (٣٦٢٦) ، والحاكم وصححه

(٢/٦٥) ، والدارمى (١٢/١) . ودلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٢٨٨) .

(٤) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٤) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٧١) ،

وشرح السنة للبغوى (٣٦٠٤) وقال : حديث غريب .

(٥) انظر دلائل النبوة للبيهقى (٧/٦) ، والبداية والنهاية (١٥٣/٦) .

(٦) السمرة : من شجر الطلح ، وهو نوع من العضاة .

(٧) تخذ : تشق . وشاطئ الوادى : طرفه وجانبه .

حتى قامت بين يديه فشهدت ، ثم صدرت إلى مكانها بعدما وردت^(٨) .
وسأله أعرابى آيةً ، تكون سبباً للهداية ، فأمر بدعوة بعض الشجر ، فأقبلت
الشجرة إليه ممثلة لما أمر ، فسلمت عليه ، ووقفت بين يديه ، ثم رجعت
بإشارته إلى منبتها^(٩) ، وكم له من آية منقولة عن مُبْتَهَا .

وذهب يقضى حاجته فى بعض الأحيان ، فلم ير شيئاً يستتر به عن
العيان ، فلحقت بصاحبته إحدى شجرتين ، وعادتا على شخصه الكريم
ملتئميتين ، ثم افترقتا بعد الإتفاق ، وقامت كل واحدة منهما على ساق^(١٠) .

إذا جاء الجمادُ إليه طوعاً

وخاطبهُ فلا تعجبُ لذاكا

أتى ييغى التَّدانى من نبيٍّ

علا مقداره وسما السَّماكا

رسول الله أفلح من ترامى

عليك وفاز من وافى حمَّاكا

وفى ناديك من حُلَّت حباه

تلفع بالملابس من حباكا

(٨) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٢٨٩) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٤) ،
والطبرانى فى الكبير (٤٣٢ / ١٢) ، ومعانى الآثار للطحاوى (٢١ / ٣) ، والمطالب
(٣٨٣٦) .

(٩) انظر : الخصائص الكبرى (١ / ٢٠٢) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٤ - ١٧) ،
والسيرة الشامية (٤٩٩ / ٩) ، ودلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٢٨٩) .

(١٠) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٢٨٩) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٢٠) ،
ومجمع الزوائد (٩ / ٦) ، ومسلم (٤ / ٢٣٠٦) ، والتمهيد لابن عبد البر (١ / ٢٢٢) .

وذهب لحاجته فى بعض مغازيه ، وأسامة بن زيد فى صحبتته ينجيه ،
 فأمره أن يدعو له نخلات وحجارة ، ليكن له منزلة الوقاية والستارة ،
 فتقاربت النخلات حتى عدن لزماً ، وتعاقدت الحجارة حتى صرن خلفهن
 ركاماً ، فلما قضى حاجته من منافعهن ، رجعن بإشارته إلى مواضعهن^(١١)
 . وجاءت للسلام عليه طلحة^(١٢) أو سمرة^(١٣) من قبل نفسها ، فأطافت مُلَمَّةً
 به ثم رجعت إلى منبت غرسها^(١٤) . ومن حديث ابن مسعود -رضى الله
 عنه- أن الجن قالوا : من يشهد لك بما عنه تدافع ؟ قال : هذه الشجرة ،
 فجاءت تجر عروقها ولها قعاقع^(١٥) ، وسار فى غزوة الطائف ليلاً ، وقد
 أسبل الوسن من جفنه ذيلًا ، فاعترضته سدره فانفرجت له نصفين ،
 واستمرت باقية قائمة على ساقين^(١٦) ، ودعا ببعض الأودية غصناً من
 شجرة ، فجاء يخط الأرض مطيعاً لما أمره ، فحبسه بمشيئة من أعطى ومنع ،
 ثم قال له : ارجع كما جئت فرجع^(١٧) ، وقصد هداية أعرابى إلى السبيل ،

(١١) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٢٩٢) ، وجمع الجوامع (٥٨٧ / ٢) .

(١٢) طلحة : واحدة الطلح وهو شجر عظيم من شجر العضاه .

(١٣) السمرة : شجرة من شجر الطلح .

(١٤) ويرحم الله الإمام البوصيرى حيث قال :

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة تمشى إليه على ساق بلا قدم

كأنما سَطُرَت سسطراً لما كُتِبَتْ حروفها من بديع الخط فى اللَّقَمِ

(١٥) قعاقع : حكاية صوت السلاح .

(١٦) الشفا (١ / ٣٠١) وعزاه إلى ابن فورك .

(١٧) الشفا (١ / ٣٠٢) .

فدعا بحضرته عَذْقاً^(١٨) من النخيل ، فجعل يَنْقِزُ^(١٩) حتى أتاه ، ثم رجع بأمره إلى مكانه ومثواه^(٢٠) .

نبيُّ له الأشجار جاءت مطيعة
نبيُّ عليه سلَّم الحجر الصلِّد
نبيُّ هُدَى حتى الجماد يجيبه
نبيُّ كريمٌ ما لدعوته رد
له الفضل والإفضال والبر والتقوى
له العدل والإحسان والجود والمجد
عليه سلام الله ما ذرَّ شارق
وما مال في كُثبانهِ البَّانُ^(٢١) والرَّندُ^(٢٢)



(١٨) العَذْقُ : قَنو النخلة .

(١٩) يَنْقِزُ : يَنْبِتُ صعدا .

(٢٠) الشفا (١ / ٣٠٣) وعزاه إلى الترمذى وقال أبو عيسى : حديث حسن ، وانظر السيرة الشامية (٩ / ٤٩٩) .

(٢١) البَّانُ : ضرب من الشجر ، يُشَبَّه به الحسان في الطول واللين .

(٢٢) الرَّندُ : شجرٌ طيب الرائحة .

فصل

فى كلام الحيوان والجماد وطاعتها له ﷺ

ومن معجزات النبى ﷺ أن الضَّب كلمه فى محفل من أصحابه ، وقال له : لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة حال خطابه ، ونطق بربوبية آله الأولين والآخرين ، وشهد أنه رسول رب العالمين وخاتم النبيين^(١) ، وأخبر الذئب راعى الغنم بنبوته وعظمته ، وقتاله المشركين حينئذ وعلو كلمته ، فحكّمه الراعى فى غنمه ، ومضى ليحقق صدق كلمه ، فوجده فى القتال كما قال ، فأسلم وعاد واجداً غنمه على أكمل حال^(٢) ، وسبّح المأكّل بين يديه بلغة فصيحة ، قال ابن مسعود : كنا نأكل معه الطعام ونحن نسمع تسيّحه^(٣) . وأخذ كفأ من حصى فسبّحن فى يده ، وهو حديث رواه الثقات عن أنس بسنده^(٤) ، ومرض فجاءه جبريل بطبق فيه عنب ورمّان ، فلما أكل

(١) عزاه السيوطى فى الخصائص الكبرى (٢ / ١٠٧) إلى : الطبرانى فى الأوسط والصغير ، وابن عدى ، والحاكم ، والبيهقى فى دلائل النبوة (٦ / ٣٦) ، وأبى نعيم فى الدلائل (ص ٢٧٨ ، ٣٨١) وابن عساكر . وزعم ابن دحية أن الحديث موضوع وكذا الذهبى ، وتعقبهم السيوطى فى الخصائص (٢ / ١٠٧) ، والحافظ الشامى فى سيرته (٥٢٠ / ٩) .

(٢) انظر : الخصائص الكبرى (٢ / ١٠٢) وعزاه إلى أحمد (٣ / ٨٨) ، وابن سعد ، والبيهقى فى الدلائل (٦ / ٤١) ، والحاكم ، وأبى نعيم فى الدلائل (ص ٢٧٦ ، ٢٧٧) ، والحديث صحيح .

(٣) رواه الشيخان والترمذى وأبو الشيخ وابن مردويه (السيرة الشامية ٩ / ٤٩٣) .

(٤) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٢ ، ٣٢٣) .

منه سَبَّحَ للملك الديان^(٥) .

يا مُرْسَلًا خاطبه ضَبُّ الفَلَا

وأخبر الذئب به راعِي الغنم

وسَبَّحت في كفه صُمُّ الحصى

وأظهر الأنوار من بعد الظلم

لولاك ما غاب العدى لولاك ما

آب الهدى كلاً ولا أم الأمم

أقسم يا ربَّ المقام المجتلى

أنك خيرُ الناسِ عُرب وعَجَم

وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً ، أرجلها مثبتة بالرصاص في
الحجارة إثباتاً محكماً ، فلما دخل عام الفتح إلى المسجد الحرام ، جعل يشير
بقضيب في يده إلى تلك الأصنام ، فوقعت لوجوهها وظهورها حسب
إشارته ، وكم له من آية بينة تدل على كثرة فضله وغزارته ، وكلام «ضمار»
صنم عبَّاس بن مردَّاس ، وإنشاده للشعر الذي ذكره لا شك فيه ولا
التباس^(٦) ، وكذا كلام الطائر الذي عند ضمار سقط ، وشهادته برسالته غير
خاف عمن روى وضبط ، وسجدت له الغنم في حائط بعض الأنصار^(٧) ،

(٥) عزاه السيوطي في الخصائص الكبرى (٢ / ٩٣) إلى ابن عساكر وقال : فيه حفص بن
عمر الدمشقي . قال البخاري : لا يتابع عليه . وقال الذهبي : خبر منكر .

(٦) الخبر أورده أبو نعيم في دلائل النبوة (ص ٧٢) .

(٧) الحديث أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٢٨١) ، وانظر مجمع الزوائد (٤ / ٩) .

والبعير برك بين يديه ومن الذبح به استجار^(٨) .

أشار إلى الأصنام فى فتح مكة

فخرت وعاد البيت منها مُطَهراً

وأخبر عن إرساله الطائر الذى

أفاد ضمّاراً ما أسراً وأضمّراً

كرامات معروف المكارم عارف

يفوق الورى فضلاً وخبراً ومخبراً

وحديث ناقتة العضباء^(٩) وكلامها له مشهور ، ومبادرة العشب إليها وتجنب الوحوش عنها فى الكتاب مسطور ، على أنها بعد وفاته ما اقتاتت ، ولم تأكل ولم تشرب حتى ماتت ، وأظلمت حمام مكة يوم فتحها ، وازدلفت إليه البدن فى بعض الأعياد لذبحها ، ونبتت بأمر الله تجاهه شجرة ليلة الغار ، ونسجت العنكبوت ووقفت الحمامتان ستراً له من الكفار ، واستجارت به الظبية الموثقة فى الحباله ، وخصته بياء النداء شاهدة له بالرسالة ، وسألته إطلاقها لترضع خُشْفِها^(١٠) ثم تعود ، فعاهدها وأطلقها فغابت ثم آبت وافية بالعهود ، فلما عادت أوثقها نظراً فى حبال الصياد ، ثم أعتقها بإذنه لما استيقظ من البرقاد^(١١) .

(٨) انظر : مسند أحمد (٣ / ١٥٠) ، ومجمع الزوائد (٩ / ٤) ، ودلائل النبوة لأبى نعيم

(١٣٧) ، والتمهيد لابن عبد البر (١ / ٢٢٤) ، والسيرة الشامية (٩ / ٥١١) .

(٩) العضباء : هى المقطوعة الأذن . وقيل : بل هو اسم لها ، ولم يكن بها عَضْبٌ ، وهذا

اختيار أبى عبيد . (١٠) الخُشْف : ولد الغزال .

(١١) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (٣٢٠) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٣٤) ، والحديث

ضعفه ضعفه الحافظ ، لكن كثرة طرقه تشهد أن للقصة أصلاً (السيرة الشامية ٩ / ٥١٩) .

حَامَ الْحَمَامُ عَلَيْهِ إِجْلَالاً لَهُ

وبه استجارت ظبية القنَّاصِ

شهدت بمبعثه وأبدت شجوها

بلسانٍ لا هذر ولا خَرَّاصِ

آياتُ حق حار كل مؤرخ

فى حصرها ومحدث قصَّاصِ

وتنحى الأسد عن طريق مولاه سفينة ، حين علم أنه مجهز من حضرته العالية المكيئة^(١٢) . وقصة الحمار الذى كلمه حين أصابه بخير ، وذكر أن اسمه يزيد بن شهاب معروفة لا تنكر^(١٣) ، وشهدت الناقة عنده على مدَّعيها بإفكه ، واعترفت أن صاحبها لم يسرقها وأنها جارية فى ملكه ، وأتت إليه عنزٌ فى عسكره المنصور ، وذيل الماء على منزلتهم غير مجرور ، وهم زهاء ثلاثمائة بالعطش محصورون ، فحلبها وروَّاهم ثم انطلقت وهم لا يشعرون^(١٤) . وأمر فرسه وقد قام إلى الصلاة بالوقوف ، فما حرَّك عضواً حتى فرغ من صلاته وتفرَّقت الصفوف ، وكان الداجن^(١٥) فى بيته يقر ويثبت

(١٢) انظر : دلائل النبوة لليهقى (٦ / ٤٥) ، وشرح السنة للبغوى (٣٦٢٦) ، ومصنف

عبد الرزاق (٢٠٥٤٤) ، والسيرة الشامية (٩ / ٥١٩) .

(١٣) عزاه السيوطى فى الخصائص الكبرى (٢ / ١٠٧) إلى ابن عساكر .

(١٤) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣١٩) .

(١٥) الدَّاجِن : ما أَلَفَ الناس فى بيوتهم كالشاة التى تغلف ، والدجاج ، والحمام ، وسمي

داجناً لإقامته مع الناس .

إذا دخل إليه ، ويجيء ويذهب إذا خرج منه صَلَّى الله وسلم عليه (١٦) .
نبيٌّ وبِلُ مركّزه غزير

فدع طَلَّ السحاب والرّذاذا

نبيٌّ أمر معجزه كبير

به حتى جماد الأرض لاذا

وأقبل نحوه الحيوان طوعاً

يروم بكهفه العالى عيادا

عليه صلاة رب ذى سهام

إذا ما أرسلت نفدت نفاذا



(١٦) الشفا : (١ / ٣٠٩) ، ومسند أحمد (٦ / ١١٢) ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٣١) .

فصل

فى كلام الموتى والأطفال وإبرائه ذوى العاهات ﷺ

ومن معجزات رسول الله ﷺ الشاة المصلية^(١) ، التى بخير أهدتها له اليهودية ، أخبرته بأنها مسمومة ، وأن عاقبة الأكل منها مدمومة ، ومات بشر ابن البراء وهو أحد من أكل منها ، وفى رواية أن ذراعها أو فخذها تكلم عنها ، ثم أن اليهودية اعترفت بما عملت ، فأمر بها عليه الصلاة والسلام فقتلت^(٢) ، وأتى بسلام يوم ولادته ، فنطق بين يديه شاهداً برسالته ، ولم يتكلم الغلام بعدها حتى شب^(٣) ، وليس ذلك بمستنكر بعد كلام الطيبة والضَّب ، وانطلق مع الرجل الذى طرح ابنته فى الوادى ، فناداها باسمها فخرجت وهى بتلبيته تنادى ، فقال : إن أحببت أن أردك على أبويك فقد أسلما ، قالت : لا حاجة لى فيهما ، وجدت الله خيراً منهما^(٤) ، وأما حياة الشاب الأنصارى الذى مات ، وما دعت به الأم العجوز العمياء من الدعوات ، وما ذكرته من هجرتها إلى الله ورسوله ، فعن أنس نقل حديثه

(١) المصلية : المشوية .

(٢) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ١٣١ ، ١٣٢) ، والسيرة الشامية (٥ / ٢٠٨) ، والبداية والنهاية (٤ / ٢٠٨) ، وابن هشام (٢ / ٣٣٧) . وقيل : لم يقتلها رسول الله ﷺ لأنه كان لا ينتقم لنفسه . وقيل : بل قتلها عندما تحقق موت بشر .

(٣) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٥٩) ، ونقله ابن كثير (٦ / ١٥٩) وقال : إسناده غريب . قلت الحديث حول إسناده كلام .

(٤) الشفا (١ / ٣٢٠) .

من لا يرتاب فى نقوله^(٥) ، وتكلم ثابت بن قيس حين أدخل إلى قبره ،
فشهد له بالرسالة وذكر اسمه السامى نجم قدره ، وكان قد قتل باليمامة ،
تغمده الله بالرحمة والكرامة^(٦) ، وتكلم أيضاً زيد بن خارجة بعد وفاته ،
فذكر اسمه الكريم ورسالته المعظمة وبعض صفاته ، وسلم عليه بأفصح
لسان ، ثم عاد ميتاً كما كان^(٧) .

تكلمت الموتى بحضرة أحمد

وخاطبه فى يوم مولده الطفلُ

وما ذاك بدعاً بعد تكليم بعضهم

لعيسى كما وافى إلينا به النقلُ

وقد أخبر الرحمنُ أن محمداً

على سائر الرسل الكرام له الفضلُ

هو المصطفى المختار والشاهد الرضا

هو المنذر الوهاب والحكم العدلُ

وكان قتاده أسكنه الله بحبوحه جنته ، قد أصيبت عينه يوم أحد حتى
وقعت على وجنته^(٨) ، فردّها صلى الله عليه ، فكانت بعدُ أحسنَ عينيه^(٩) .

(٥) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٥٠) ، والسيرة الشامية (١٠ / ١٤) .

(٦) الشفا (١ / ٣٢٠) .

(٧) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٥٠) ، والتاريخ الكبير (٢ : ١ : ٣٨٣) .

(٨) الوجنة : ما نتأ من لحم الخدّ ، وهما وجنتان .

(٩) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٣ / ٢٥٢) ، ودلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٦٥) .

وأصيب وجه أبي قتادة بِقِدْحٍ من القِدَاح^(١٠) ، فبصق على جرحه فما ضرب عليه ولا قاح^(١١) ، وتشفع به إلى الله بعض العُمَيَّان^(١٢) ، فكشف عن بصره كشفاً عَوَّضَهُ عن الخبر بالعيان .

وابن ملاعب الأسنة نهكه استسقاء طراً عليه ، فشفى بحثوه من الأرض تفل عليها وجهازها إليه^(١٣) .

ولما ابيضت عينا فُديك وذهب نظره ، نَفَثَ^(١٤) في عينه ﷺ فارتد إليه بصره ، حتى كان يدخل الخيط في الإبرة ، والقوم يرفعون إلى ثمانين حجة عمره^(١٥) .

ورُمِيَ كُلُّثُوم بن الحُصَيْن يوم أحد في نحره ، فبصق فيها فبرأ بأمر من لا رادَّ لأمره^(١٦) .

ولم تدم شَجَّة^(١٧) عبد الله بن أنيس ، حيث تفل عليها من شهد بنبوته أويس^(١٨) .

(١٠) القِدَاح : جمع قِدْح ، وهو السهم أول ما يقطع تُسَمَّى قِطْعاً ، ثم يُبْرَى فيُسمى بَرِيّاً ، ثم يُقَوَّم فيقال له : القِدَاح ، ثم يُرَاش ويُركَّب فهو حينئذ سهم .

(١١) قَاح : يقال قاح الجرح وقيح إذا حصل فيه المدة التي لا يخالطها دم ، والحديث في السيرة الشامية (١٠ / ٤١) .

(١٢) انظر الشفا (١ / ٣٢٢) وعزاه إلى النسائي .

(١٣) انظر الشفا (١ / ٣٢٢) . (١٤) النَّفْثُ : نفخٌ ليس معه ريق .

(١٥) انظر : دلائل النبوة لأبي نعيم (ص ٣٥١) ، ودلائل النبوة للبيهقي (٦ / ١٧٣) ، وعزاه في الشفا إلى العقيلي (١ / ٣٢٣) .

(١٦) انظر الشفا (١ / ٣٢٣) .

(١٧) الشَّجُّ في الرأس خاصة ، والفَلُّ في الأعضاء كلها .

(١٨) عزاه الحافظ الشامي في سيرته (١٠ / ٢٣) إلى البغوي والطبراني .

وفى عيني على نفث يوم خير ، فأصبح رمده لم يكن شيئاً يذكر^(١٩) .

كف رسول الله كم أبرأت

عيناً وأجرت فى الفلأ من عيون

وكم سقيم مدنف صيرت

تحريك ما أسقمه فى سكون

واسأل فديكاً إن تشأ أو فسل

قتادة تظفر بسرّ مصون

واعلم بأن الصادق المجتبى

أصعب من هذا عليه يهون

ونفث على ساق سلمة بن الأكوع ، فبرأت من ضربة أصابتها فى يوم هو سمّاه يوم الرُّضْع^(٢٠) ، وأصاب رجل ابن معاذ السيف ، فبرأت بنفث من ببركته يذهب الجَنَفَ والحَيْف^(٢١) ، وانكسرت يوم الخندق ساق على ابن الحكم ، فنفث عليها فبرأ مكانه ولم يحصل له ألم^(٢٢) ، واشتكى على فدعا له ثم ضربه برجله ، فلم يعد إليه ذلك الوجع أبداً من أجله^(٢٣) ، وقطع

(١٩) انظر الشفا (١ / ٢٣٢) ، والسيرة الشامية (١٠ / ١٧) .

(٢٠) انظر البخارى (٧ / ٤٧٥) .

(٢١) الجَنَف : الجور والظلم ، والحَيْفُ مثله .

(٢٢) انظر : دلائل النبوة للييهقى (٦ / ١٨٥) ، والإصابة (٢ / ٥٠٧) وعزاه إلى

البغوى فى معجمه وابن السكن وابن منده . وقال ابن منده : غريب لا نعرفه إلا من هذا

الوجه . وعزاه فى سبل الهدى والرشاد (٤ / ٥٢٢) إلى الطبرانى أيضاً .

(٢٣) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٧) .

أبو جهل يد معوذ بن عَفْرَاء يوم بدر ، فبصق عليها وألصقها بإذن من شَرَحَ له الصدر^(٢٤) ، وَضُرِبَ خَبِيبَ عَلَى عَاتِقِهِ فَتَهَدَّلَ شَقَهُ وَمَالَ ، فَنفثَ عَلَيْهِ ورده إلى ما كان عليه قبل القتال ، وبرأ صَبَى الخثعمية بغسالة يديه ، وَعَقَلَ عقلاً كثيراً ببركته صلى الله وسلم عليه^(٢٥) ، وانكفأت القدر على ذراع ابن حاطب وهو صغير ، فمسح عليه ودعا له فبرأ لوقته بإذن اللطيف الخبير^(٢٦) ، وكانت في كف شُرْحِيلِ سَلْعَةٍ^(٢٧) ، منعتَه القبض على السيف وضيقَت ذرعه ، فما زال يطحنها بكفه حتى ذهبت ، وزال أثرها ببركة يده التي كم أبرأت وكم وهبت^(٢٨) ، وأبرأ غير واحد من ذى جِنَّة وذى وَصَبٍ ، ولم يُؤت بأحد به مسٌ وصكٌ في صدره إلا ذهب .

يا من له الرُّتَبُ العُلَى والحسب

يا من حوى شرف المغارس والنَّسَبُ

دعواتك اللاتي نمت بركاتها

كم أذهبت ما كاد يفضى للعَطَبُ

(٢٤) السيرة الشامية (١٠ / ٢٣) .

(٢٥) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٤٩) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٥ / ٤٤٤) .

(٢٦) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٥١) ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٧٤) ، والحاكم (٤ / ٦٢) ، والبخارى فى تاريخه (١ / ١٧) .

(٢٧) السَّلْعَةُ : زيادة تحصل فى الجسد كالغدة تكون من قدر الحمصة إلى قدر البطيخة .

(٢٨) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٧٦) ، والسيرة الشامية (١٠ / ٢١) .

من ضربة عند النزال وطعنة

تأتى ومن مسّ يُصيب ومن وصَب^(٢٩)

أنت الذى بلغ المني من عُدّ من

خُدّام سنتك الشريفة والأدبُ

صلّى عليك مدبر الأكوان ما

ظهر الضياء من الغزاة^(٣٠) واحتجبُ



(٢٩) الوَصَبُ : التعب .

(٣٠) الغزاة : الشمس عند طلوعها .

فصل

فى دعائه المستجاب ﷺ

ومن معجزات النبى سلم الله عليه سلاماً لا تفنى مواد مدده ، أنه كان إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولدهُ وولد ولده ؛ دعا لأنس بالبركة وتكثير الولد والمال ، فلم يُعلم أحد نال من كثرة الولد ورخاء العيش ما نال ، تمتع بالمال الكثير فى سلمه وحربه ، ودفن بيديه مائة ولد من صلبه^(١) ، ودعا بالبركة لعبد الرحمن بن عوف ، فطافت الأموال حول بيته أجزل طوف ، حتى تصدق مرةً بغيرٍ ، فيها سبعة مائة بغيرٍ ، وأطلق جزلاً وأنجز وعداً ، وأعتق فى يوم ثلاثين عبداً ، وظهر فى تركته من الذهب ما ثقل حملاً وعز وصفاً ، حتى أخذت كل زوجة من زوجاته الأربع ثمانين ألفاً ، ودعا لمعاوية بالتمكين فى البلاد ، فنال الخلافة وحكم فى الطريف^(٢) والتلاد^(٣) ، ودعا لسعد بن أبى وقاص بإجابة دعوته ، فما دعا لأحد بعد إلا استجيب له ببركته^(٤) ، واستجيب له ﷺ فى عمر وعز به الإسلام به من رب البشر ، قال ابن مسعود: ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر .

(١) انظر البخارى (٦٣٤٤) ، ومسلم (١٩٢٩ / ٤) ، ومسند أحمد (٣ / ١٠٨) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٩٤) ، والترمذى (٣٨٣٣) .

(٢) الطريف : الحديث المستفاد من المال .

(٣) التلاد : المال القديم ، وانظر الحديث فى أبى داود (٢٠١٩) .

(٤) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١٨٩) ، وصحيح مسلم (١ / ٣٣٥) ، وفتح البارى (٢ / ٢٣٦) .

نعم أعز ديننا
إسلام ذى العزم عُمَرُ
الزاهد العدل الرضى
رب الفتوح والظفر
ما ذاك إلا بدعا
المصطفى خير البشر
كما دعا لأنس
فقال باليمن الوطر
ولابن عوف الجوا
د فاجتلى بدر البدر
طوبى لقوم أدركوا
أيامه البيض الغرر

وقال للنابغة: لا يفضض الله فاك ، فأدرك بدعائه غاية تعلو على
الأفلاك ، وعُمَرُ وكان أحسن الناس ثغرا ، كلما سقطت له سن أنبت الله له
أخرى^(٥) ، ودعا لابن عباس بالتفقه وتعلم التأويل ، فكان بعد يسمى حبر

(٥) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٤٤) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٢٣٢) .
ولا يفضض : أى لا يكسر أسنان فيك . والنابغة هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة
الجعدي العامري ، أبو ليلى ، صحابى ، شاعر مفلق من المعمرين ، كان ممن هجر
الأوثان ، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام ، أدرك صفين وشهدا مع على
«الإصابة/٥/٤٨٨» .

الأمة وترجمان التنزيل ، ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة فى صفقة يمينه ، فكان يربح فى جميع ما يشتريه بنفسه ونائبه وأمينه ، ودعا بالبركة للمقداد أيضاً ففاضت عليه عيون المال فيضاً^(٦) ، ودعا بمثل ذلك لعروة بن الجعد ، فدار بنجوم ربحه الجزيل ذلك السعد^(٧) ، وكفى على كرم الله وجهه الحرّ والقرّ بدعائه ، فكان يلبس فى الشتاء ثياب صيفه وفى الصيف ثياب شتائه^(٨) ، وأعطى الطفيل بن عمرو^(٩) آية بدعوته عليه السلام ، وهى نورٌ يضيئ بطرف سوطه فى جنح الظلام^(١٠) .

هذا ابن عباس به قد غدا

فى الفقه والتأويل نعم الإمام

وعروة بن الجعد من ربحه

فى المال قد فاز بأعلى السهام

والحرّ والقرّ على رأى

حربهما سلماً عليه السلام

(٦) انظر الخصائص الكبرى (٢ / ٢٨٣) .

(٧) هو عروة بن الجعد البارقي وعزاه فى الخصائص الكبرى (٢ / ٢٨٨) إلى البيهقي وأبى نعيم فى دلائل النبوة .

(٨) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٤٨) ، والسيرة الشامية (١٠ / ٢٠١) .

(٩) هو الطفيل بن عمرو الدوسى يلقب ذا النور وقتل يوم اليمامة . وأصحاب النور : أسيد ابن حضير ، وعباد بن بشر ، وحمزة بن عمر الأسلمى ، وقتادة بن النعمان .

(١٠) انظر الإصابة (٣ / ٥٢٢) .

وَأَيُّ خَيْرٍ لَمْ يَكُنْ أَصْلَهُ

من أحمد بيت قصيد الكرام

ودعا على مُضِرٍّ فقحطوا ولم يصفُ لهم عيش ، ثم دعا لهم فسُقُوا حين
استعطفته قريش ، ودعا على كسرى بتمزيق ملكه فتمزَّق ، وتَشَتَّتَ شمل
ذريته بل شمل الفرس قاطبة وتفرق ، وقطع بعض الصبيان عليه الصلاة ،
فدعا عليه فقعد إلى أن أدركته الوفاة ^(١١) ، وقال لرجل : «كل بيمينك» قال :
لا أستطيع ، فلم يرفعها إلى فيه إذ لم يكن لأمره مطيع ^(١٢) ، وأكل عُبَّةَ بن
أبى لهب أسدٌ سيق إليه ، حيث دعا بتسليط كلب من كلاب الله عليه ^(١٣) ،
وقابلته جماعة من قريش بإساءة الأدب ، فانقلبوا بعد القتل بدعائه إلى أسوأ
منقلب ، وكان الحكم بن أبى العاص يغمز عنده ، ويختلج ^(١٤) بوجهه حيث
لم يبلغ رُشدَه ، فدعا عليه باستمراره على هيئته ، فلم يزل يَخْتَلِجُ إلى أن
نزل بحفرته ^(١٥) ، ومات ابن جثَّامة بعد سبع من دعائه عليه ، فلما دُفِنَ
لفظته الأرض مرات ولم تركز إليه ^(١٦) ، وكم له من دعاء متجانب فى
الاستسقاء وغيره ، ومن كرامة ظاهرة تدل على عظمته ونبوته وخيره .

(١١) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٢٢١) وعزاه لأحمد وأبى داود .

(١٢) انظر : صحيح مسلم (٣ / ١٥٩٩) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٢٣٨) ، وقيل : إن
هذا الرجل هو بُسر بن راعى العير الأشجعى ، كذا ذكره ابن منده وابن ماكولا وآخرون .

(١٣) انظر الشفا (١ / ٣٢٩) ، والسيرة الشامية (١٠ / ٢٢٢) وكان عتبة يَسُبُّ النَّبِيَّ ﷺ .

(١٤) يَخْتَلِجُ : أى يُحاكى .

(١٥) انظر : دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٢٣٩) ، والخصائص الكبرى (٢ / ١٣٢) ،

وعزاه الحافظ الشامى فى سيرته إلى البلاذرى .

(١٦) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٢٢٢) .

إن الذي يدعوه من لا يُردّ
دعاؤه لموفق وسعيد
والويل للعاصي الذي يدعو
عليه وإنه لمشرد وطريد
يا سيّد الكونين يا من ظله
كنواله للوافدين مديد
كم آية وكرامة لك ذكرها
أبدأ على مرّ الزمان جديد
منّي إليك سلام عبد ماله
إلا الصلاة عليك والتوحيد



فصل

في انقلاب الأعيان له وتأثير بركته ﷺ

ومن معجزات رسول الله ﷺ أنه ركب لأبى طلحة فرساً قَطُوفاً ^(١) غير لاحق، فرجع ببركته بحراً لا تجرى معه السوابق ^(٢) ، ونخس لجابر جملأً أفسد اللغوب ^(٣) نظامه ، فنشط حتى كان لا يقدر أن يملك زمامه ^(٤) ، وبرك على فرس جُعِيلٍ فحسنت وصفاً ، وباع من بطنها بائني عشر ألفاً ^(٥) ، وركب لسعد بن عباد حماراً به قطاف ، فردّه هُمَلاً جاً ^(٦) لا يسايره ذو إكاف ^(٧) ، وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره ، فلم يشهد بها قتالاً إلا أيدّه الله تعالى فيه بنصره ^(٨) ، وكانت المرضى تستشفى بغُسالة ما يلبسه من الثياب ، وتُعافى بما يوضع في الآنية المعدة له من الشراب ، وسكب

(١) القَطُوف : البطيء السير .

(٢) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٩) ، دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ١٥٣) ، وفتح الباري (٦ / ١٢٢) .

(٣) اللغوب : السير .

(٤) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٨ ، ٣٢٩) ، دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ١٥٠) ، ومسلم (٣ / ١٢٢٢) ، والبخارى (٤ / ٣٢٠) .

(٥) الشفا (١ / ٣٣١) ، وطبقات ابن سعد (١ / ٢ / ٣٩) ، والطبراني في الكبير (٣٧٦ / ١١) .

(٦) الهُمَلاج : البرزؤن الحسن المشى بسرعة (فارسي معرب) ويسمى الآن رَهَوَاناً .

(٧) الإكاف : بكسر الهمزة وضمها : البردعة ، أو ما يشد فوقها .

(٨) انظر : دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٢٤) ، ودلائل النبوة للبيهقي (٦ / ٢٤٩) ، ومستدرک الحاكم (٣ / ٢٩٩) ، ومجمع الزوائد (٩ / ٣٤٩) .

من فضل وضوئه في بئر فلم يُتحدَّث بعد بالنزح عنها ، وبَصَقَ^(٩) في بئر دار
أنس فلم يكن بالمدينة أعذب منها^(١٠) ، ومرَّ على ماء ملح فسماه طيباً
فطاب^(١١) ، ومَجَّ^(١٢) في بئر زمزم وغيرها ففاح منها ريح الأتاب^(١٣) ، وكان
يتفل في أفواه صبيان المراضع ، فيجزئهم ريقه إلى أن يجمعهم والليل
جامع^(١٥) .

رسولٌ كم حديث عنه يروى

جواهره شنوف^(١٦) للمسامع

نمت بركاته وسما سناها

يشير بلامح في الكون لامع

بها الحيوان أضحي ذا نشاط

وزالت عن ذوى السقم الموانع

بها عذبت مياه كن ملحاً

وصار لها شذى كالمسك ضائع

(٩) بَصَقَ - بالصاد والزاي أيضاً - أخرج ريقه ورمى به .

(١٠) عزاه في السيرة الشامية (٩ / ٤٥٩) إلى أبي نعيم والبزار .

(١١) انظر السيرة الشامية (٩ / ٤٦٣) وعزاه إلى ابن السكَن .

(١٢) مَجَّ ، أى صبَّ فيه ، ولا يكون مجًّا حتى يباعد به .

(١٣) والحديث أخرجه أحمد ، والبيهقي ، وابن ماجه ، عن وائل بن حجر .

(١٤) انظر : دلائل النبوة للبيهقي (٦ / ٢٢٦) ، وعزاه في الإصابة (٤ / ٣٠٢) إلى أبي

مسلم الكشي .

(١٥) شنوف : يقال : شَنَّفَ الآذان بكلامه : أمتعها به .

وحديث عكة أم مالك وأمره لها أن لا تعصر ، وما كانت تجد فيها من السَّمَن حتى عصرتها لا ينكر^(١٦) ، وغرس لسلمان عند مكاتبته ثلاثمائة وَدِيَّة^(١٧) ، فأطعمت من عامها ببركة يده النَّدِيَّة ، وأعطاه ذهباً وزن منه لمواليه أربعين أوقية ، على أنه كان مثل بيضة الدجاجة وبقيت منه بقية^(١٨) ، وسقى رجلاً من سؤره الذى به الأرواح تنتعش ، فلم يزل يجد شبع شربته إذا جاع وريَّها إذا عطش^(١٩) ، وأعطى قتادة عُرْجُوناً فى ليلة مظلمة ، فلم ييرح العُرْجُون يضىء له حتى أتى مخيمه^(٢٠) ، وانكسر سيف عكَّاشة يوم أحد فأعطاه جذل^(٢١) حطب ، فعاد فى يده سيفاً صارماً يدنى من قاربه إلى العَطَب ، ثم لم يزل يشهد به المواقف ، وكان يعرف بالعَوْن بين تلك الطوائف^(٢٢) ، وذهب سيف عبد الله بن جحش فدفع إليه عَسِيّاً^(٢٣) ، وكان يوم أحد فرجع فى يده سيفاً خشيباً^(٢٤) ، وبركته على الشياة الحوامل

(١٦) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٤٢٩) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ١١٤) ، ومجمع الزوائد (٨ / ٣١١) ، والبداية والنهاية (٦ / ١٢٠) . والعُكَّة : إناء من جلد مختص بالسَّمَن والعسل .

(١٧) نَوْدِيَّة : فسيل النخل .

(١٨) انظر الشفا (١ / ٣٣٢) .

(١٩) العُرْجُون : أصل العِذْق الذى يعوجُّ وينعطف ويقطع منه الشماريح فيبقى على النخلة يابساً .

(٢٠) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٤٣) وعزاه للطبرانى وأحمد والبزار وصححه .

(٢١) الجِذْلُ : أصل الشجرة تُقَطَّع .

(٢٢) انظر السيرة الشامية (٤ / ٨١) ، والبداية والنهاية (٣ / ٢٩١) ، وابن هشام (٢ / ٢٩٠) .

(٢٣) العَسِيب : سَعَفُ النَّخْلِ .

(٢٤) انظر : سبل الهدى والرشاد (٤ / ٨١ ، ٩ / ١٠) ، وعزاه إلى عبد الرزاق ، والزيير ابن بكار فى الأخبار الموفقيات .

مأثورة ، ودرورها باللبن الكثير فى صُحف المحدثين مسطورة ، كغنم حليلة
السعدية ، وشاة أم معبد الخزاعية ، وأعنز معاوية بن ثور وشاتى أنس
والمقداد ، وشاة عبد الله بن مسعود وغيرهم ممن لا يحصره التعداد .

خير البرايا معدن الجود والندى

فضائل آيات وسلِّ أم مالك

وسلم على سلمان واقصد نخيله

تجد حسن آثار النبى المبارك

وعكاشة اسمع قوله وحديثه

عن الجذل بل عن مُرهف الحد فاتك

ولذ بجناب المصطفى وامش خلفه

تل جنة محفوفة بالأرائك

وزود أصحابه سقاء ماء أو كاه ودعا فيه ، فلما حلّوه وجدوا لبناً طيباً ذا
زبدة فى فيه^(٢٥) ، وبرك على رأس عُمير بن سعد ، فمات ابن ثمانين ولم
يشب من بعد^(٢٦) ، ومسح على بطن عتبة بن فرقد وظهره ، فكان يغلب
طيب نسائه طيب نشره ، وجرح عائد بن عمرو يوم حنين ، فسكّت^(٢٧) الدم
عن وجهه فعاد ذا غرة كاللجين^(٢٨) ، ومسح رأس قيس بن زيد وأشار

(٢٥) طبقات ابن سعد (١ / ١١٤) .

(٢٦) عزاه فى السيرة الشامية (١٠ / ٣٣) إلى الزبير بن بكار .

(٢٧) سكّت : أى مسح .

(٢٨) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٢٤) وعزاه للحاكم وابن عساكر . وانظر مجمع الزوائد

(٩ / ٤١٥) .

بالدعاء إليه ، فعمّر وبيض رأسه خلا ما مرت يده عليه^(٢٩) ، ورمى يوم
حنين فى وجوه الكفار قبضة من التراب ، فانصرفوا مكسورين مأزورين
منقطعة بهم الأسباب ، وكان جرير بن عبد الله لا يثبت على الأفراس ،
فضرب فى صدره ودعا له فكان أفرس الناس ، وشكا أبو هريرة النسيان إليه ،
فأمره ببسط ثوبه وضمه بعد أن غرف فيه يديه ، فما نسى شيئاً مما حفظه بعد
ذلك^(٣٠) ، وكم له من معجزة ليس له فيها من الأنبياء مشارك .

لله در نبي دُر منطوقه

ألباب أهل الحجى والعلم تُستَلَبُ

والنشر من وصفه لا ينطوى أبدا

كلا ولا ينقضى من بحرهِ العجبُ

به وجوه ذوى الإقبال ناضرةٌ

آضت وعادت له الأعيان تنقلبُ

وأبرأت كفه العاهات مسرعة

وكم له آية تملئ وتكتبُ

صلّى عليه الذى أعلى مراتبه

ما هبت الريح فاهتزت لها القَصْبُ^(٣١)

(٢٩) وكان يسمى الأغَرّ .

(٣٠) انظر البخارى (٩ / ١٣٣) ، ومسلم (فضائل الصحابة ١٥٩) ، وأحمد (٢ / ٣٧٤) ،
ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٢٠١) .

(٣١) القَصْبُ : كل شجرة طالت وبسطت أغصانها .

فصل

فى إخباره بالكائنات والغيوب ﷺ

ومن معجزات النبى ﷺ ما أطلعه الله عليه من الغيوب ، وما عرّفه به سبحانه مما ذهب ومما يثوب ، وما أخبر بوقوعه فوقه ، وأنه سيكون فلاح ضوء صبحه ولمع^(١) ، فمنه ما ذكر من الظهور على أعدائه ، وإعلاء أعلام أنصاره وأوليائه ، والأمن الموجود بيمينه فى الرحلة والمقام ، وفتح مكة وخيبر واليمن والعراق والشام ، ودنو أمته من الدنيا وزهرتها ، وتقلبهم فى جزيل نصارتها ونضرتها ، وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر ، وأخذهم من الاختلاف بالمكيال الأوفر ، وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة ، الناجية منها واحدة ليس بينها وبين الحق فرقة ، وأن أحدهم يغدو فى حلّة^(٢) ويروح فى أخرى ، وتوضع الصحف^(٣) بين يديه تنعما وفخراً ، وتكون لهم عدة أنماط^(٤) رحبة ، ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة^(٥) ، وأن ملكهم يبلغ ما زوى له من الغرب والشرق ، وأنه لا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق .

(١) قال القاضى عياض فى الشفا (١ / ٣٣٥) : الأحاديث فى هذا الباب بحرٌ لا يُدرك قعره ، ولا ينزف غمره ، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع ، الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة روايتها واتفاق معانيها .

(٢) الحُلّة : ثوبان من جنس واحد .

(٣) الصّحّاف : جمع صحّفة : إناء كالقصعة .

(٤) أنماط : جمع نمط ، وهو ضرب من البسط والفرش .

(٥) روى الطبرانى عن أبى جُحيفة أن النبى ﷺ قال : « سبفتح عليكم الدنيا حتى تُنجدوا بيوتكم كما تُنجد الكعبة » وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٤٦٦٧) .

نبيُّ أمانةٍ ورسول صدقٍ
جديرٌ بالنبوة والرسالة
إذا ما قال قولاً فانتظره
فسوف يكون حتماً لا محالة
إليه العرش بالأنوار منه
هدى من شاء من ظلم الضلالة
وعلم أمةً من بعد جهلٍ
به وعلى الورى أعلى مقال

وما أشار إليه من قتال العرب والترك ، وزوال ملك فارس والروم بأمر مالك الملك^(٦) ، وقبض العلم وظهور الهرج والفتن ، وذهاب الأمثل فالأمثل وتقارب الزمن ، ومُلك بنى أمية واتخاذهم المال دولاً ، وخروج بنى العباس لا يبيغون عن الملك حولاً ، وقتل علىّ بعد قتل عثمان^(٧) ، وخروج المهدي في آخر الزمان ، وما ينال أهل بيته الأطهار ، وما يلقونه من القتل والتشريد في الأقطار ، وأن الزبير يحارب علياً ، وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا ، وينبح على بعض أزواجه كلاب الحوَّاب^(٨) ، ويقتل حولها كثير وتنجو بعدما

(٦) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » [البخارى ٣٠٢٧ ، ومسلم ٤ / ٢٢٣٦ ، وشرح السنة للبغوى ٣٦٢٢] .

(٧) انظر الخصائص الكبرى (٢ / ٢٠٦ - ٢١١) .

(٨) الحوَّاب : منزل بين مكة والبصرة ، وهو الذى نزلته عائشة رضى الله عنها لما جاءت إلى البصرة في وقعة الجمل (النهاية ١ / ٤٥٦) . وأصل الحوَّاب : الوادى الواسع .

كادت تذهب^(٩) ، وأن عمّاراً تقتله الفئة الباغية^(١٠) ، وأن الأمر في قريش ما أقاموا للدين أعلاماً عالية ، وأنه سيكون في ثقيف كذاب ومُبِير^(١١) ، وأن مُسَيْلَمَة يعقره من هو على كل شيء قدير .

بعض الذي قاله خير الأنام جرى

والبعض يأتي كما قد نصّ في الخبر

أما الصحابُ وأهلُ البيت منه وما

قد نالهم فهو أمر غير مُستتر

وسوف يظهر تصديقاً له فتن

كقطع ليلٍ خلا من غُرّة القمر

وما أخبر به من سحر لبيد بن الأعصم حليف الشيطان ، وأنه في جفّ طلع نخلة ذكر ملقى في بئر ذروان^(١٢) ، وأكل الأرضة ما كتبتة قريش في الصحيفة ، وأنها أبقت فيها كل اسم لله تنزيها لأسمائه الشريفة^(١٣) ، وأن

(٩) انظر : دلائل النبوة (٦ / ٤١٠) ، ومسند أحمد (٦ / ٥٢٥ ، ٩٧) ، والسيرة الشامية (١٠ / ١٥١) . .

(١٠) حديث مقتل عمار بن ياسر من الأحاديث المتواترة ، رواه من الصحابة بضعة عشر . وانظر الخصائص الكبرى (٢ / ٢٣٩) ، والسيرة الشامية (١٠ / ١٥١) .

(١١) المُبِير : الذي يهلك الناس ، قال الإمام النووي في شرح مسلم : اتفق العلماء على أن المراد بالكذاب المختار بن أبي عبيد ، والمبِير الحجاج بن يوسف . وانظر الحديث في مسلم (٤ / ١٩٧١) ، وشرح السنة (٣٦٢١) .

(١٢) بئر ذروان : بئر في بني زريق . انظر الحديث في : فتح الباري (١١ / ١٩٢) ، ودلائل النبوة للبيهقي (٦ / ٢٤٧) .

(١٣) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٥٨) .

العرب سوف يرتدون^(١٤) ، وأن الخلافة بعده ثلاثون ، وأن الأمر بدأ نبوة ثم تكون خلافة ورحمة ، ثم ملكاً عضوضاً ثم عتواً وفساداً فى الأمة ، وكثرة العجم فى أمته وضربهم رقاب الرجال ، وأن الكذابين ثلاثون آخرهم الدجال ، وشأن الأمراء الذين يؤخرون الصلاة^(١٥) ، والرجل الذى يخرج من قحطان يسوق الناس بعصاه ، وأمر أويس القرنى وما قال عنه^(١٦) ، وأنه لا يأتى زمان إلا والذى بعده شر منه ، ووقوع آخر هذه الأمة بسبب أولها فى الآثام ، وقلة الأنصار حتى يكونوا كالمالح فى الطعام ، وخروج الخوارج وأن سيماهم التحليق^(١٧) ، وظهور القدرية والرافضة^(١٨) وعدولهم عن الطريق .

تباً لقوم رفضوا عُسبة

محمد شأنهم يرفضُ

عُسبة خير صحبوا المصطفى

والله قرضاً حسناً أقرضوا

(١٤) عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى يعبدوا الأوثان » رواه مسلم والترمذى .

(١٥) عن عبادة بن الصامت ، عن النبى ﷺ قال : « سيكون أمراء تشغلهم أشياء يؤخرون الصلاة عن وقتها فاجعلوا صلاتكم معهم تطوعاً » أخرجه ابن ماجه وله شواهد .

(١٦) أخرج مسلم ، عن عمر قال : إن رسول الله ﷺ حدثنا « أن رجلاً من أهل اليمن يقدم عليكم ولا يدع بها إلا غير أم له قد كان به بياض ، فدعا الله أن يذهب عنه فأذهب عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم يقال له أويس فمن لقيه منكم فليأمره فليستغفر له » ، وانظر السيرة الشامية (١٠ / ١٠٠) .

(١٧) انظر الخصائص الكبرى (٢ / ٢٥٠) .

(١٨) انظر الخصائص الكبرى (٢ / ٢٥١) .

وجه الذى يكرههم أسودٌ

ووجه كل منهم أبيضٌ

طوبى لمن كان حليفاً لهم

وويل مطرود لهم ييغضُ

وما حدث به من أمر فاطمة الزهراء نجله ، وأنها أول من يلحق به من أهله^(١٩) ، وأن أرض الطّف^(٢٠) بها يقتل الحسين ، وأن الله تعالى يصلح بالحسن بين فئتين^(٢١) ، وأن رعاء الغنم يُرون رؤساء عليهم التيجان ، وأن الحفاة الرعاة يتناولون فى البنيان ، وولادة الإمام الرّبّات ، وموت النجاشى يوم مات^(٢٢) ، وكتاب حاطب^(٢٣) وقصة عمير مع صفوان^(٢٤) ، وما يكون

(١٩) انظر : مسند أحمد (٢٨٢ / ٦) ، وطبقات ابن سعد (٢ / ٢٤٧) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٣٦٤) .

(٢٠) انظر دلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٤٦٨) ، ومسند أحمد (٣ / ٢٤٢) ، والسيرة الشامية (١٠ / ١٥٣) .

(٢١) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٤٢٥) ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦ / ٤٤٢) ، والبخارى (٣ / ٢٤٤) ، ومسند أحمد (٥ / ٤٩) ، والمستدرك (٣ / ١٧٥) .

(٢٢) أخرج الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشى فى اليوم الذى مات فيه . . « وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « مات اليوم رجل صالح فصلوا على أصحابه » .

(٢٣) قيل : كان فيه أن رسول الله ﷺ قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده (السيرة الشامية ٦٤/١٠).

(٢٤) حيث سارته وشارطه على قتل النبى ﷺ ، فلما جاء عمير إلى النبى ﷺ قاصداً قتله ، أطلعه رسول الله ﷺ على الأمر فأسلم .

بعد فتح بيت المقدس من الموتان^(٢٥) ، وَمَنْ غَلَّ الشَّمْلَةَ^(٢٦) بتفريق شَمْلَه ،
ومن أخذ حرز يهود فوجدت في رحله ، وقتل أهل مؤتة يوم قتلوا ،
ومصارع أهل بدرٍ ومقابلتهم بما فعلوا ، وبناء مدينة بين دجلة ودُجَيْلٍ يعنى
بغداد^(٢٧) ، وعدته من سكن البصرة ولم يخلف عليه السلام الميعاد ، إلى
غير ذلك من الحوادث ونزولها ، وأشراف الساعة وحلولها ، وذكر البعث
والنشر ، وآيات الموقف والحشر ، وأحوال الأبرار والفجار ، وأحوال القيامة
ووصف الجنة والنار ، والجُمْل يستغنى بها عن التفصيل ، والأقلام لا تحصر
ما له ﷺ من التفضيل .

نبيٌ عظيم القدر نور قلبه
وعَلَّمَه من يعلم السر والنَّجوى
وعرَّفَه بالكائنات وغيبها
فأصبح منشوراً له كل ما يُطوى
أيا حبذا منه إمامٌ وقدوة
شرائع دين الله من لفظه تُروى

(٢٥) الموتان : الموت الكثير . وضم الميم لغة تميم وفتحها لغة غيرها .

(٢٦) الشَّمْلَةُ : كساء صغير يؤتزر به ، واسم هذا الرجل : كَرِكْرَة .

(٢٧) عن حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستبنى مدائن بين نهريْن من المشرق
يحشر إليها خزائن الأرض وكنوزها يسكنها شرار الخلق يخسف الله بها بعد ما يعذب
بالسيف » أخرجه أبو نعيم ، ودُجَيْل : نهر بالأهواز حفره أزدشير بن بابك أول ملوك
ساسان .

له روضةٌ تهتز بالسند والندى
سحائبها تنهلُّ بالجوود والجدوى
تحف ضريحاً ضم هدياً ورحمة
وحاز العُلا والعلم والبر والتقوى
عليه سلامٌ لم يزل غصن دَوْحه
رطيباً سريع الميل ينمى ولا يذوى



فصل

فى عصمته من الناس ﷺ

ومن معجزات النبى ﷺ أنه جلس فى بعض منازلہ تحت شجرة ،
فاخترط^(١) أعرابى سيفه عليه يريد ما عظم الله خطرہ ، فأرعدت يده وسقط
منها السيف ، وضرب الشجرة برأسه كمن ألم به من الشيطان طيف ، فعفا
عنه وأقامه بعد الإبلas ، فرجع إلى قومه قائلاً : جئتكم من عند خير
الناس^(٢) ، وانفرد يوم بدرٍ بقضاء الحاجة من أصحابه ، فتبعه رجلٌ من
المنافقين مُصَلِّتاً سيفه من قرابه ، فعصمه الله من شرِّه ، وردَّ كيده فى نحره ،
وقصده دُعْثُور بن الحارث ، وفى يده عَضْبٌ مُرْهَفٌ^(٣) الحد فارث ، وذلك
فى غزوة غطفان ، فوقع لظهره ثم هدى بعدها للإيمان^(٤) ، وكانت حمالة
الحطب تضع على طريقه العِصاة^(٥) وهو جمر ، فكأنما يطأه كثيراً مهياً^(٦)
بقدره صاحب الأمر ، وتواعده المشركون مرات عديدة ، وأتوا للفتك به بكل
حيلة ومكيده ، فمنهم من هرب وفر ، ومنهم من مرَّ عيشه بعد أن مر ،
ومنهم من وقع مغشياً عليه ، ومنهم من ضرب الله على عينيه ، ومنهم من

(١) اخترط السيف : استلَّه .

(٢) ذكر البيهقى أن ذلك كان فى غزوة ذات الرقاع .

(٣) القضب : السيف القاطع . والمُرْهَف : القاطع .

(٤) انظر سبل الهدى والرشاد (٤ / ٢٦١) ، والواقدى (١ / ١٩٣) ، وابن هشام
(٤٩ / ٣) .

(٥) العِصاة : كل شجر يعظم وله شوك .

(٦) مهياً : أى مصبوباً سائلاً ، يقال أهيل الرمل وانهاى إذا سال .

أصابته زُلْخَةٌ^(٧) وسقط بين يديه ، ومنهم من صدَّته الملائكة فلم يصل إليه .

راموه بالسوء والجبارُ يحفظه

من كلِّ ذى حسدٍ للشرِّ منتصبٍ

وأقبلوا نحوه للكيد فانقلبوا

بجهلهم وعماهم أى منقلبٍ

لما مشوا فى ظلام الظُّلم أورثهم

خبْطاً وخطباً بهم أدَّى إلى العطبِ

تبّاً يلاقيهم لقيا أبو لهبٍ

وبئس ما صنعت حمالة الحطبِ

واجتمعت قريشٌ على قتله وبيّتوه لعكوسهم ، فخرج عليهم من بيته وذراً
التراب على رؤوسهم ، وخلص منهم وهم له ينظرون ، ﴿ صَمٌّ بِكُمْ عُمَى ﴾^(٨)
فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ^(٨) ، واتبعه سرُاقَةٌ حين الهجرة اتّباع قاتل ، وقد جعلت
قريشٌ فيه وفى أبى بكر الجعائل ، فلما قرب منهما دعا عليه سيد الثقلين ،
فخرَّ عن فرسه بعد أن ساخت^(٩) قوائمها مرتين ، فناداه بالأمان ، فأمنه
وقابله بالإحسان ، وعرف بعض الرعاة حقيقة خبرهما ، فخرج يشتدّ ليُعْلِمَ
قريشاً بأمرهما ، فلما ورد مكة ضُربَ على جنانه ، وأنسى ما خرج له حتى
رجع إلى مكانه ، وجاءه أبو جهل بصخرة ليطرحها عليه ، وكان إذ ذاك

(٧) الزُّلْخَةُ : وجع يأخذ فى الظهر لا يتحرك الإنسان من شدته .

(٨) سورة البقرة : ١٨ .

(٩) ساخت : غاصت فى الأرض .

ساجداً وقریشٌ تنظرُ إليه ، فبست يده إلى عنقه ولم ينفعه هُبْل ، ثم سألَه
أن يُطْلِقَ يديه بدعائه ففعل^(١٠) ، وأتاه مرة أخرى وهو يصلي صلى الله وسلم
عليه ، فلما قرب منه ولى ناكصاً على عقبيه ، وأشرف على خندق نارٍ كاد
يهوى فيه ، وأبصر من الهول العظيم ما يحزنه ويخزيه^(١١) .

تدانتُ منه واجتمعتُ قریشٌ

عليه وبیتُوه للعكوسِ

فلم يَحْصِلْ لهم مما أرادوا

سوى ذرِّ التراب على الرؤوسِ

وأمرُ سُرْاقيةٍ إذ خرَّ ملقىً

وراعى الشاةِ دُونَ في الطُّروسِ^(١٢)

ويبسُ يَدَيَّ أبى جهلٍ شهير

وكم آيٍ لأحمدَ كالشموسِ

وجاءه عازماً على قتله رجل من بني المغيرة ، فطمس الله بصره على أنه
كان أعمى البصيرة ، وأدركه يوم حنين رجلٌ من خلفه ، ورفع سيفه عليه
عازماً على حتفه ، فلما دنا ارتفع إليه شواظٌ من نار ، فولَّى ثم أقبل فأسلم
وقاتل في صف الأبرار^(١٣) ، وخبرُ عامر بن الطفيل حين قصد قتله مذكور ،

(١٠) ذُكِرَ أن في هذه القصة نزل قوله تعالى : ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً ﴾ ، وانظر
السيرة الشامية (١٠ / ٢٥٥) .

(١١) ذُكِرَ أن في هذه القصة نزل قوله تعالى : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ﴾ إلى آخر السورة .

(١٢) الطُّرُوسُ : جمع طُرْس : الصحيفة .

(١٣) يروى أن هذا الرجل هو شيبه بن عثمان الحَجَبِيُّ .

وما اتفق عليه مع أربد بن قيس^(١٤) من الكيد المردود عليهما مشهور^(١٥) ،
وكثير من اليهود والكهان ، انذروا به وعينوه لأصحاب الأوثان ، وأخبروهم
بنبئه وحضوهم على قتله ، فعصمه الله تعالى منهم بنصره وفضله ، وحرسه
بعينه التى لا تنام ، وكلاه بعنايته فى الرحلة والمقام ، وجعل فى أعناقهم
أغلالاً ، وألبسهم من العكس والطرْد سربالاً ، وكفَّ أيديهم عنه إذ همّوا
ببسطها ، وقابل عزائمهم السيئة بطنى نشرها وحل ربطها ، ورد كلاً منهم
خاسئاً وأطال بعده ، وحمى رسوله ﷺ وكفاه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(١٦) .

سبحان من عصم الرسول من الأذى

وله أذلَّ عصابة الأوثان

وحمى حماهُ وعنه كفَّ أكفَّهم

ورمماهم فى هوة الخُسران

وأعزّه وكفاه ما يخشاه من

شرّ اليهود البُهت والكُهان

وأقام دولته وأعلى دينه

فضلاً وإحساناً على الأديان

صلّى عليه الله رب العرش ما

عطف النسيم معاطف الأغصان

(١٤) هو أخو لبيد بن ربيعة لأمه ، بعث الله عليه صاعقة فأحرقتة كافراً ، ولبيد صحابى
جليل .

(١٥) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٢٦٠) وعزاه للطبرانى وابن المنذر وابن جرير .

(١٦) سورة الزمر : ٣٦ .

فصل

فيما جمع له من المعارف والعلوم ﷺ

ومن معجزات النبي ﷺ ما جمعه الله له من المعارف الوافرة ، والعلوم التي لم تزل عن وجوه الهداية سافرة ، وما خصه به من ورود عين اليقين ، والاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ، وعرفه من قوانين شريعته ، وحفظ أسرار وديعته ، وسياسة عبادته ، ورعاية ساكني بلاده ، وقصص الأنبياء والرسل والجبابة ، وما كان في الأمم قبل بعثته الزاهرة ، وأحاديث القرون الماضية ، وإظهار شرائعهم النائية ، ووعى سيرهم وسرد أنبائهم ، وأيام الله فيهم واختلاف آرائهم ، والمعرفة بمُدَّهم وأعمارهم ، وحكم حكمائهم وأخبار أخبارهم ، ومحااجة كل أمة من الكفرة ، ومعارضة أهل الكتابين بما في كتبهم المسطرة ، وإعلامهم بمخباتها وأسرارها ، والمكتوم والمغير والمبدل من أسفارها ، وما أحاط به من لغة العرب وغريب ألفاظها ، وضروب فصاحة خطبائها وبلاغة وعاظها ، وما خص به من جوامع كلمها ، وحفظ أيامها وأمثالها وحكمها ، ومعرفة معاني أشعارها ، وبيان مشكل نظامها ونثارها .

وبناء أركان العلوم

ورفع ذكر منارها

وشفاء صدر مريدها

الظامى إلى أنهارها

وبلوغ ما يُدنى إلى

استخراج دُرِّ بحارها

وسلوك أوضح طرقها

فى النور من أقمارها

وتفهم الغامض الذى لا يظهر ، وتمهيد قواعد الشرع المطهر ، المشتمل على محاسن الأخلاق ، ونفائس الأعلاق ، ومحامد الآداب ، وطرائف طرائق الصواب ، وتسكين حركة العايب والعايب^(١) ، وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث ، وصون الأعراض والأموال بالحدود ، وحماية الأنفس بالوعيد لا بالوعود ، وما علمه مما كان ويكون ، وما حواه من سائر الفنون ، كالفرائض والحساب ، والتعبير والأنساب ، والطب المحقق شفاؤه ، والعلاج المجرب دواؤه ، كقوله ﷺ فى حديثه المعروف عن أصحاب الأثر : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأول رجل ذكر »^(٢) ، وقوله ﷺ صلاة متصلة بيوم العرض : « إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض »^(٣) ، وقوله صلى الله عليه وسلم عليه رب العزة والسلطان : « الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان »^(٤) ، وقوله فى خبر رواه من شنف به مسمعه : « إن سبأ رجلٌ ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة »^(٥) ،

(١) العايب : المفسد .

(٢) عزاه السيوطى فى الجامع من الصغير (١٥٧٤) للشيخين وأحمد والترمذى .

(٣) جزء من حديث رواه مسلم وابن ماجه (٣٠٧٤) .

(٤) عزاه السيوطى فى الجامع الصغير (٤٤٩٤) لمسلم .

(٥) جزء من حديث أخرجه أحمد ، والترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه ، وعبد بن

حميد ، وابن المنذر (الدر المنثور ٤٣٤ / ٥) .

وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام في «الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام» (٦) .

لله ما أفضله مرسلاً
حاز علوماً حصرها لا ينال
بحر شراع الشرع أضحي به
مرتفعاً يعلو رؤوس الجبال
لولاه ما وافى محيا الهدى
مبتسم الثغر وزال الضلال
طالب حصر الوصف منه اتد
من ذا الذي يُحصي الحصى والرمال

إلى غير ذلك من لغات الأمم ، وتصوير حروف الخط بالقلم ، وما لا يعلم بعضه ، ولا يدرى إبرامه ونقضه ، إلا من لازم الدروس واقتفى سبلها ، وعكف على مطالعة الكتب وجالس أهلها ، وما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه فيه قدوة ، وجعلوه أصلاً في علومهم لفرعوا عليه ويحذوا حذوه ، على أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولا عُرف بصحبة من يعلم الكتابة و يحسب ، ولا نشأ بين قوم لهم مدارس ، ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا ممارسة ، ولا اختلف إلى حبر من الأخبار ، ولا اجتمع بمنجم ولا كاهن ولا صاحب أخبار ، إنما كانت غاية معارف العرب الشعر والبيان ،

(٦) عزاه السيوطي في الجامع الصغير (٣٧٨٠) إلى أبي نعيم في الطب وصححه . وعزاه الهيثمي إلى الطبراني وقال : رجاله ثقات .

وأخبار من سلف من أوائلها وبان ، وذلك نقطة من بحر علمه ، وقطرة من
غيث حكمه وحكمه ، وبالجملة فقد كانوا يسألونه عما اضطروا من ذلك
إليه ، وعما اختلفوا فيه صلى الله عليه .

إن المعارف عرّفها من زهره
ونمو أفنان الفنون بقطره
ومعالم العلم الشريف به سمت
وطريقها وضحت بطالع فجره
كم حكمة ظهرت معاني حكمها
بين البرايا درها من بحر
صلى عليه وزاده من فضله
من خصه شرفاً بغامض سره



فصل

فى خبره مع الملائكة والجن ﷺ

ومن معجزات رسول الله ﷺ إمداد الله له بملائكته ، وإدخال طائفة من الجن فى طاعته ، وصرفهم إليه لاستماع القرآن ، ورؤية عدة من أصحابه لهم فى كثير من الأحيان ، وخبر محادثته مع الملائكة فى العالم العلوى مأثور ، وما شاهدته من كثرتهم وعظم صورهم ليلة الإسراء مشهور ؛ رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح ، وتكلم مع إسرافيل وغيره فى مكان تصعد إليه الأرواح ، وعانينهم جماعة من أصحابه فى موطن بحضرته ، ورأى ابن عباس وغيره جبريل فى صورة دحية^(١) وهيته ، ورأى الناموس الأعظم^(٢) فى مجلسه العلى الأركان ، وهو فى صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان ، وجلس على يمينه المعروفة باليمن جبرائيل ، وعلى يساره المشهورة باليسر ميكائيل ، وكانا فى صورة رجلين بيض الأثواب ، فرأهما سعد وغير واحد من الأصحاب .

ملائكة الرحمن تطرق بابه

ونحو حماه لم تزل تتردد

لتأييد جيش أو أداء رسالة

وكم قد أتت معنى الزيارة تقصد

(١) هو دحية بن خليفة بن مروة الكلبي ، وكان من أجمل الناس ، وكان جبريل ينزل على

رسول الله ﷺ على صورته (الإصابة ٢ / ٢٨٤) .

(٢) أى جبريل عليه السلام .

وأمر سماع الجن للذكر عنده

وإيمانهم طوعاً به ليس يُجحدُ

كرامات ذى فضلٍ على محله

له كرمٌ كالغيث لا يتعددُ

وأخبر بعض من شهد يوم بدر ، أنه سمع أصوات الملائكة على خيلها بالحث والزجر ، ورأى تطاير الرؤوس من الكفار ، ولم يُشاهد ضارباً بعَضْبٍ^(٣) ولا بتَّار ، ورأى بعضهم رجالاً بيضاً بُلُقَ الأفراس^(٤) ، يجولون بين السماء والأرض على رؤوس الناس ، وحين رأى حمزة جبريلَ فى الكعبة خراً مغشياً عليه ، وكانت الملائكة تصافح ابن الحُصَيْن ببركة مَنْ صَحِبَهُ وانتمى إليه ، ولما قُتِلَ يوم أحد مُصْعَبُ بن عُمَيْر ، أخذ الراية ملك على صورته مساعدة لأهل الخير ، وأما ابن مسعود أتحفه الله بالكرامة ، فإنه ليلة الجن رأى مَنْ حضر منهم وسمع كلامه ، وأقبل شيخٌ بيده عصا فى بعض الأيام ، فسَلَّمَ على رسول الله ﷺ فردَّ عليه السلام ، ثم ذكر اسمه ونسبته إلى إبليس اللعين ، وأخبره أنه لقي نوحاً ومن بعده من النبيين إلى ذلك الحين ، قال عمر بن الخطاب ، وعَلَّمه سوراً من الكتاب ، وتفلَّت شيطانٌ ليقطع صلاته فى تهجده ، فأخذه وأراد ربطه فى بعض سوارى مسجده ، ثم أطلقه لدعوة أخيه سليمان ، وردَّه الله خاسئاً بالخزى والخذلان^(٥) .

(٣) العَضْبُ : السيف القاطع .

(٤) بُلُقُ الأفراس : الأبلق : هو الذى فى لونه سواد وبياض .

(٥) انظر السيرة الشامية (١٠ / ٢٦٣) وعزاه إلى أحمد فى مسنده . ودعوة نبي الله سليمان عليه السلام هى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مَلِكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ .

رسولٌ حاز آياتِ
وغاياتِ من السَّبْقِ
أمينٌ جاء بالإيمان
والإحسان والصدِّقِ
جميلُ الخلق والأخلاقِ
جَمَّ الرِّفْدِ والرِّفْقِ
أفاد الجن والإنسان
علماً باسمِ البرقِ
به أضحت منيرات
نواحي الغرب والشرقِ

ولما هدم خالدٌ مكان العُزَّى وحطَّم جدرانَه ، خرجت له سوداء ناشرة
شعرها عريانة ، فجزلها بمهْنَدِه^(٦) ، واستمر على ما هو بصدده ، وكرامات
أصحابه من بعض معجزاته ، عليه أفضل صلوات الله وتحياته ، فهذه نبذة
من معجزاته الواضحة ، وفلذة من أنوار آياته اللائحة ، وبضعة من علامات
نبوته الهادية ، وقطعة من سحائب كراماته الرائحة والغادية ، مقتصرأً من
جزلها على اليسير ، ومقتنعاً من طولها بقليل من كثير ، إذ لو حصل
الاستقصاء لكانت ديواناً ، بل دواوين تطير أوراقها إلى طالبها زرافات

(٦) المَهْنَدُ : السيف . وانظر الخبر في السيرة الشامية (٦ / ٢٠٠) ، ومثير الغرام الساكن
(ص ٢٤٠) بتحقيقنا ، وطبقات ابن سعد (٣ / ١٩٥) .

ووجداناً ، وبالجمله فالأدلة على فضله لا تعد ولا تحصر ، واختصار القول
فى أهل الشرف والطول أولى وأجدر .

نَعَمْ نَعَمْ الْمُقَفَّى لَيْسَ تَحْصَى

وتلخيص المقالة فيه أجدر

لإن الأفق مهما قلت فيه

من الزهر الدرارى فهى أكثر

وفضل البحر لم يدركه وصف

وعدُّ الموج منه ليس يُحصَرُ

أيا لله من ذى معجزات

لها نورٌ لعين الشمس يُبهرُ

عظيم الخلق معروف السجايا

إلهُ العرش قدَّسه وطهرُ

سلام الله لا ينفك يهفو

له ما هلل الداعى وكبرُ



فصل

فى وجوب الإيمان به وطاعته واتباع سنته ﷺ

الإيمان بالنبي ﷺ واجب ، وشهاب التصديق برسالته فى سماء الهداية ثاقب ، وهو أمرٌ متعين لا يصح إلا معه الإسلام ، وكل إيمان خلا عن الإيمان به فهو غير تام ، والإيمان به هو الشهادة له بالرسالة ، وتصديقه فى جميع ما جاء به وما قاله ، فمن آمن به عصم دمه وماله ، وأحرز ما يصلح عاقبته ومآله ، والإيمان محتاج إلى العَقْد بالجنان ، كما أن الإسلام مضطر إلى النطق باللسان ، فإذا اجتمع التصديق بالقلب والنطق بالزُرد^(١) ، تمَّ الإيمان وفاز صاحبه بالجد الأسعد ، وطاعته أيضاً واجبة ؛ لأنها لطاعة الله مصاحبة ، فمن أطاعه هدى إلى سواء الطريق ، ومن مدَّ باعه إلى أفقه ظفر بالتوفيق ، ومن امثل أمره رَفَلَ فى أثواب الثواب ، ومن خالفه سلك به عِقَاب العُقَاب^(٢) ، وطاعته هى الالتزام بسنته ، والتسليم لما جاء به ورفع كلمته ، فاتبعوه وأطيعوه ، وانقلوا خبر أمره وأذيعوه ، وإذا نهاكم عن شيء فانبذوه ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾^(٣) .

خذوا ما آتاكم به المصطفى

وأقواله صدَّقوا تَغْنَمُوا

(١) الزُرد : الحلق واللسان .

(٢) العِقَاب : جمع عَقَبَة : المرقى الصعب من الجبال . والعُقَاب : طائر من كواسير الطير حاد البصر .

(٣) سورة الحشر : ٧ .

وما جاء من عند رب العلى
إليكم به سلّموا تسلموا
ووالوه وامتشلوا أوامرهم
وطرّق هداه الزموا تكرموا
وستّته تابعوا واسمحوا
ببذل الندى وارحموا ترحموا

ولا تعوجّوا عن مناهج الحق وسبله ، وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله ،
واجتهدوا فى تصميم الاعتقاد وحضور الجنان ، واجمعوا بين التصديق
بالقلب والشهادة باللسان ، فالشهادة باللسان دون التصديق بالقلب نفاق ،
ومن نطق بها وهو غير معتقدها ما له فى الآخرة من خلاق ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٤) ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٥) ، ويجب اتباعه وامثال سنته السنية ، واقتفاء طريق هديه
وسيرته فى حربه وسلمه ، والأخذ بقوله والرضا بحكمه ، فخير الهدى
هداه ، ومن اتبعه أحبه الله ، فعليكم بإحياء سنته ، لتعدّوا من صالحى أمته ،
أفلح من عضّ عليها بالنواجذ ، وفاز من روى وهو بجانبها لا ئذ ، من
انتصر بها فهو منصور ، ومن اقتدى بها وفّق فى سائر الأمور .

ومن إليها جاء يرجوا الهدى
ألقى إليه حبرّات الحبور

(٤) سورة آل عمران : ١٣٢ .

(٥) سورة البقرة : ٤٢ .

ومن أتى يطوى الفلأ^(٦) نحوها

فاز بنشر الخلد يوم النُّشور

ومن اعتصم بها نجا من النار ، ومن حفظ برّاً برها حُشِرَ مع الأبرار ، ومن
رضى بقول صاحبها رضى بالقرآن المجيد ، ومن تمسك بها عند فساد الأمة
فله أجر مائة شهيد^(٧) ، ومن رغب عنها فليس من سيد البشر ، ومن أثرها
على نفسه نال غاية الأمل ونهاية الوطر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل
المؤمنين ، ولأه الله ما تولى وأصلاه مثوى الكافرين ، فتلقوا ما صدر عن
صدر المصطفى بالقبول ، ﴿وَأِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
وَالرَّسُولِ﴾^(٨) ، ولا زموا طريقته واتبعوا سنته ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٩) ولا يغرنكم بالله الغرور ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن
كل مُحَدِّثَةٍ بدعة وكل بدعة ضلالة ، وأيقظوا قلوبكم بمعرفة السنّة من سنّة
الجهالة ، ولا تتعرضوا إلى مخالفته والاعتراض على طريقه المستقيم ،
﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ﴾^(١٠) .

لا يكملُ الإيمانُ فى قلب امرئ

إلا بتـصديقِ النبى المرسلِ

(٦) الفلأ : جمع فلأة وهى الأرض الواسعة المقفرة .

(٧) عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « المتمسك بسنتى عند فساد أمتى له أجر مائة شهيد »
رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٨) سورة النساء : ٥٩ .

(٩) سورة الأحزاب : ٢١ .

(١٠) سورة النور : ٦٣ .

ذاك الذى فى الخلق طاعةُ أمره

وجبت بإخبار الكتاب المنزلِ

يا فوز ناج نور سنته اقتفى

وبه اقتدى فى كل أمر مشكلِ

صلّى عليه الله ما أحيا الحيا^(١٠)

ميت النبات بعارض^(١١) متهللِ



(١١) الحيا : المطر .

(١٢) العارض : السحاب المثل .

فصل

فى لزوم محبته ﷺ

محبّة رسول الله ﷺ لازمة ، والآية الكريمة بوجوبها وعظم خطرها جازمة^(١) ، ولن يؤمن أحدٌ حتى يكونَ أحبَّ إليه من نفسه ، ومن ولده ووالده وسائر أبناء جنسه^(٢) ، ومن أحبه وجد حلاوة الإيمان ، ودخل فى زمرته إلى محل الروح والريحان ، وفاز بمرافقة الذين أنعم عليهم الرب ، وكان معه يوم القيامة لأن المرء مع من أحب ، ولقد كان أصحابه رضى الله عنهم وأرضاهم ، وجعل جنة الخلد مسكنهم ومثواهم ، يحبونه أشدَّ المحبة ، ويختارون لقاءه وقربه ، ويعظمونه أتم التعظيم ، ويكثرّون من الصلاة عليه والتسليم ؛ أما أبو بكر فمحبته مشهورة ، وهجرته إلى الله ورسوله معروفة مذكورة ، وحلّفَ عمرٌ له صلى الله عليه ، أنه أحبُّ إليه من نفسه التى بين جنبيه ، وعن على : كان والله أحبَّ إلينا من الأموال والأولاد ، ومن الآباء والأمهات والماء البارد على ظمأ الأكباد ، وقال عمرو بن العاص : ما كان أحد أحبَّ إلىَّ من النّبي صلى الله عليه وسلم ، وكان خالد بن معدان يتمنى لقاءه كثيراً وبشوقه إليه يتكلم ، وقيل لابن عمر : اذكر أحبَّ الناس إليك فصاح يا محمّده ، ولما احتضر بلال ذكر لقاءه ورؤية صحبه فقال : واطرباه ،

(١) وشاهد هذا قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [آل عمران : ٣١] .

(٢) قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » رواه الشيخان .

ومنهم من فارق ماله ودياره فى موالاته ، ومنهم من قتل صاحبه وقاتل أباه
وابنه طالباً لمرضاته .

كيف لا يفعل الصحاب الكرام

ذاك مع خير من أظلَّ الغمَامُ

كيف لا يمنحونه الودَّ صرفاً

وهو بدرُّ به استنار الظَّلامُ

صانهم زانهم هداهم حماهم

وبه نـحـوهم تدانى المرامُ

حبذا مرسلٌ عطوفٌ رءوفٌ

كاشف كربةَ الهمومِ هُمَامُ

لمحبّيه فى الوجود مقالٌ

ولهم فى جنانِ عـدـنٍ مقامُ

إنَّ من فى ولائه يتغالى

لسعيدٍ موفقٍ والسَّلامُ

ومن علامات محبته توقيره وتعظيم قدره ، وإظهار الخضوع والخشوع عند
سماع ذكره ، والشفقة على أمته وبر صالحهم ، والنصح لهم والسعى فى
مصلحتهم ، فطوبى لمن عدَّ من جملة محبيه ، وامتلأ أوامره واجتنب سائر
نواهيهِ ، وبذل الجهد فى مؤازرته ونصره ، وتأدب بآدابه فى عسره ويسره ،
وآثر ما شرعه على هواه ، وأسخط العباد فى رضى الله ورضاه ، وثابر على

العمل بسنته ، ووافق ما حَضَّ عليه مخالفاً لشهوته ، وتفقه في دينه
وشريعته ، وتخلق بخلقه وتطبع بطبيعته ، وأحبَّ من أحبه ، وعظَّم آل بيته
وصَحْبَه ، وجانب كل أمر يخالف شرعه ، وأعرض عمن تعرض لمحدثه فيه
أو بدعة ، ونهض للوقوف عند حدوده ، ورفض أقوال شائته وحسوده ،
وبذل النفس والمال دونه ، ومال إلى الذين يحبهم ويحبونه ، فأى كرم أجزل
من كرمه ، وأى نعم أكمل من نعمه ، وأى أفضال أعم من أفضاله ، وأى
نوال أتم من نواله ، وقد جاء بالرفقة والرحمة ، وعلم الكتاب والحكمة ،
وبشراً وأنذر ، ونهى عن التعسير ويسرَّ ، وبالغ في النصيحة ، وسلك المحجة
الصحيحة ، واجتهد على الهداية ، وأنقذ من العَمَاية ، ودعا إلى الفلاح ،
وبَيَّنَّ سبيل النجاح ، وأوجب البقاء الدائم والنعيم السرمَد ، صَلَّى اللهُ عليه
صلاة متصلة لا تنقطع ولا تنفد .

يا صاحب العز والقبول ومَنْ

حَيَّرَ أهل العقول معجزه

يا مَنْ له مجلسٌ حوى شرفاً

بالقطر من سحبه يطرزه

ويظهرُ العلمُ في جوانبه

والدرُّ من فيض فيه يبرزه

حُبُّك يا أشرف الخلائق في

قلوب أهل الرشاد مركزه

أنت الذى تبطل الوعيد كما
وعد المرجى بذاك ينجزه
صلّى عليك الإله ما خطرت
ريح بغصن النقا تهزهزه



فصل

فى تعظيمه وتوقيره ﷺ

أوجب الله تعالى تعظيمه وتوقيره ، وفرض إعانتة ونصره وإجلاله وتعزيـره ، ونهى المؤمنين عن التقدم بالقول بين يديه ، وعن سبقه بالكلام وإساءة الأدب عليه ، وأمرهم أن يستمعوا لما يخرج من فيه ، ولا يتعجلوا بقضاء أمر قبل قضائه فيه ، ولا يقتدوا إلا بأمره ، وحذّـرهم مخالفته فى قلّ الأمر وكُـثره ، وأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته ، وأن يحترموه ويعظموه فى حياته وموته ، ولا يدعوه كدعاء بعضهم بعضاً ، ويتركوا من لا يرعى حقه مقتاً ورفضاً وبغضاً ، وأن ينادوه بأشرف ما يحب من أسمائه ، وأن أحداً منهم لا يجهر له بالقول فى ندائه ، وأثنى على الذين يغضون من أصواتهم عنده ، ووعدهم بالمغفرة والأجر العظيم وسينجز لهم وعده .

عَظَّمَ نَبِيًّا عَالِمًا عَامِلًا

رَبُّ الْعِلَا [قد رأى] (*) تعظيمه

وَالزَّمْ هُدَيْتَ الرُّشْدَ تَوْقِيرَهُ

- ما دمت فى الدنيا - وتكريمه

وَاحْذَرُ خِلَافَ أَمْرِهِ وَاتَّبِعْ

تَحْلِيلُهُ طَوْعًا وَتَحْرِيرُهُ

(*) فى الأصل : أوجب ، ولا يستقيم معها الوزن .

واصبر لكلم الضد فيه عسى

فى الحشر أن تسمع تكليمه

فقد كان أصحابه الأبرار يعظمونه كثيراً ، ولا يملون عيونهم منه إجلالاً
وتوقيراً ، وإذا خرج لا يحدون إليه النظر ، ولا يرفع أحد منهم إليه بصره
إلا أبو بكر وعمر^(١) ، ويجلسون حوله كأنما الطير على رؤوسهم ،
ويسمحون فى الذب عنه بأموالهم ونفوسهم ، وإذا توضأ ابتدروا إلى وضوئه
وأسرعوا إليه ، وكادوا حرصاً على التبرك به يقتتلون عليه ، ويتلقون بصاقه
عليه الصلاة والسلام ، فيمسحون به الوجوه ويدلكون به الأجسام ، وإذا
سقطت منه شعرة تزاحموا على التقاطها^(٢) ، ويبادرون إلى امتثال أوامره
والتلفع برباطها ، ويقرعون بالأظافر بابه^(٣) ، ويؤخرون سؤاله عن الأمر حياءً
ومهابة ، وإذا تكلم أنصتوا ، وإذا تلا عليهم الذكر أختبوا .

-
- (١) روى الترمذى عن أنس قال : « كان ﷺ يخرج على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر ، فلا يرجع أحدٌ منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر » .
- (٢) انظر دلائل النبوة لأبى نعيم (ص ٣٣٤) ، والبخارى (١ / ٥٩ ، ٥ / ٣٨٩) ،
والبداية والنهاية (٤ / ٣٦٠) ، والسيرة الشامية (١٠ / ٣٧) .
- (٣) أى يطرق بأطراف أظافر الأصابع طرقات خفيفة بحيث لا يُزعج تأدباً معه ومهابة له . ونص
الحديث : عن المغيرة بن شعبة قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافر «
وعزاه المناوى فى فيض القدير (٥ / ١٦٥) إلى البيهقى فى الشعب ، والبزار ،
والبخارى فى تاريخه ، والحاكم فى الكنى ، وانظر معرفة علوم الحديث للحاكم
(ص ١٩) ، والحديث حوله كلام لا يضر .

وإذا أرادهم لأمرٍ بادروا
لجواب ذاك الأمر لم يتشبَّتوا
وإذا نهاهمُ أعرضوا عما نهى
ولغير ما يختار لم يتلفَّتوا
وإذا أشار بصمتهم لم ينطقوا
وإذا دعا أقوالهم لم يسكُّتوا
أكْرَمُ بهم قوماً أقاموا دينه
وبعزمهم شَمَلَ الأعداى شَتَّوا
فعلِهمُ رضوانُ ربِّ صانهم
أن يعبدوا من دونه أو يقْتُتوا

ويجب أن يحترم بعد مماته ، كما يحترم عليه الصلاة والسلام حال حياته ،
وذلك عند ذكره وحديثه وسنته ، ولدى سماع اسمه الشريف وسيرته ، فقد
كان السلف يعظمون حديثه الحسن الصحيح ، ويتلقون الصادر والوارد من
سنته الشريفة بكل صدر فسيح ، وينصتون إلى سماع أقواله ، ويتأدبون عند
ذكر أوصافه وأفعاله ، فمنهم من يسكن من حركته ، ومنهم من يشرب
لوقع بركته ، ومنهم من يرتدى بالخضوع والخشوع ، ومنهم من تجرى من
عينه شآبيب الدموع^(٤) ، ومنهم من يغيب ويتحير ، ومنهم من يصفر لونه

(٤) عن مالك - رحمه الله - قال : حجَّ أيوب السختياني حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع
منه ، غير أنه إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه ، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي
ﷺ كتبت عنه .

ويتغير ، ومنهم من لا يكتب الحديث إلا وهو طاهر ، ومنهم من يكره أن يحدث وهو مضجع أو قائم أو سائر ، ومنهم من إذا طُلب منه تسميع حديثه المفيد ، بادر إلى الغُسل والتَّطيب ولبس الجديد^(٥) ، فجدّ في برّه وتوقيره والاستجابة إليه ، بما كنت تأخذ به نفسك لو كنت بين يديه ، واجتهد في تبجيله وتعظيمه ، وبالغ في إجلاله وتكريمه ، واعرف حق قدره ، وتأدب عند ذكره ، واستشفع به في غفر ذنوبك وستر عيوبك إلى من لا يحول ولا يزول ، وتمسك بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولَ ﴾^(٦) .

بك يا رسول الله في غفران ما
 أسلفت في زمن الصبا أتشفعُ
 كم من ذنوبٍ قد تحمل كاهلي
 شُمُ الجبال لوقعها تتصدعُ
 ما لي سواك أحوم حول جنبه
 يا من إليه ذو المساوى يهرعُ
 أنت الذي ظَلَمُ الشدائد تنجلي
 بسراجِه وبه العظائم تُدفعُ
 صلّى عليك من اصطفاك من الورى
 ما لاح في الآفاق نور يلمعُ

(٥) من هؤلاء أمام دار الهجرة الإمام مالك ، والإمام جعفر الصادق ، وابن شهاب الزهري ، وابن سيرين (انظر السيرة الشامية ١١ / ٤٤١) .

(٦) سورة النساء : ٦٤ .

فصل فى محبة آله وأصحابه ﷺ

من تعظيم رسول الله ﷺ تعظيم آله الأطهار ، وعترته الأبرار ، وذريته الأخيار ، وسائر المهاجرين والأنصار ، وإكرام أمهات المؤمنين أزواجه ، والسلوك من بر برهم فى أوضح منهاجه ، وتوقير من سلف من أصحابه ، ومن لازمه منهم فى ذهابه وإيابه ، ومعرفة الواجب من حقوقهم ، وشيم الوامض من بروقهم ، والافتداء بأفعالهم الصالحة ، والافتباس من أنوار معارفهم الواضحة ، فعظم أهل بيته كما عظمتهم العلماء من الناس ، وهم آل على وجعفر وعقيل والعباس^(١) ، ووال من والاهم ، وعاد من أبغضهم وعاداهم ، وتمسك بحبل حبهم فهو دليل على الإيمان ، واجتهد فى تقديم قریش وعاملهم بالإحسان ، فمعرفة مكانة آله براءة من النار ، والولاية لهم أمان من البوار ، وحبهم جواز على الصراط ، وباب إلى منزل الحظ والاعتباط ، ومن أحب الحسن والحسين ، وأمهما الزهراء ذات النورين ، وأباهما المعروف بالبسالة والشهامة ، كان مع المصطفى فى درجته يوم القيامة^(٢) .

لا تعدُّ عن سنن الرسول محمد

والزم محبة آله الأطهار

(١) انظر مسلم فى فضائل الصحابة (٣٦) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٢ / ١٤٨ ، ٧ /

٣١) ، وتفسير البغوى (١ / ٣٠٠) .

(٢) انظر نص الحديث فى الترمذى ، وحسنه .

وَقَرَّ وَعَظَّمْ قَدْرَ عَتْرِتِهِ وَمَنْ

يُنْمِي إِلَى الذَّرِيَةِ الْأَخْيَارِ

وَاسْلُكْ سَبِيلَ كَرَامَةِ الزَّوْجَاتِ وَالْأَ

وَلَادِ وَالْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ

وَارْفَعْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ رَايَاتِ الْوَلَا

تِجِدِ الْوَقَايَةَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ

وقد حضرَ النَّبِيُّ ﷺ على حبهم ، ونَبَّهَ على رفعة شأنهم عند ربهم ، فقال آتاه الله الفضيلة وأناله غاية سوله : « لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ورسوله ^(٣) » وعظمهم إذ قرنهم بكتاب الله أين كانوا وحيث حلوا ، في قوله : « إني تاركٌ فيكم ما إن استمسكتكم به لن تضلوا » ^(٤) وقال في على : « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ^(٥) ، وقال في عمه العباس : « من آذى عمي فقد آذاني » ^(٦) وقال : « أنشدكم الله في أهل بيتي » ولعمري إنها إشارة لطيفة المعاني ، ويكفيهم قول من خلق

(٣) ونص الحديث : عن عبد المطلب بن ربيعة عنه ﷺ أنه قال : « والذي نفسي بيده : لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم » يعنى العباس وأولاده (أحمد ٤ / ١٦٥ ، والترمذى ١٠ / ٢٦٣) .

(٤) انظر الحديث بنصه في الترمذى (٣٧٨٨) وحسنه ، ومسنده أحمد (٣ / ١٤ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٥٩) ، وشرح السنة (٣٨٠٧) .

(٥) انظر مجمع الزوائد (٩ / ١٠٣) ، ومسنده أحمد (٥ / ٤١٩) ، ومعجم الطبرانى الكبير (٥ / ٢٣٠) .

(٦) قال النَّبِيُّ ﷺ : « من آذى العباس فقد آذاني ؛ فإنما عمَّ الرجل صنو أبيه » أخرجه الترمذى في قصة (١٠ / ٢٦٣ - ٢٦٦) .

كل شيء فقدره تقديراً : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (٧) .

إن خفت من سبع الذيوب وبطشه

فالزم ولاء الخمسة الأشباح

أهل الكساء الطاهرين ذوى التقى

سفن النجاة وراحة الأرواح

وبهم تمسك حين يعتكر الدُّجى

تلق الرضا من فالق الأصباح

واستغفر لأصحاب رسول الله ﷺ على كل الأحوال ، وأمسك عما شجر
بينهم من الأقوال والأفعال ، وأظهر سيرتهم الحميدة ، وبين فضائلهم
العديدة ، واهتد بأعلام علومهم المرتفعة ، وارفض من عاداهم من ضلال
الشيعة والمبتدعة ، وانظر إلى قول من خلق الإنسان من صلصال كالفخار :
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ (٨) ، وإلى قول من أبطل
بأى كليمه ما جاء به السحرة : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ
تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (٩) ، وإلى قول من يرجع الأمر كله إليه : ﴿ رَجَالٌ صَدَقُوا
مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (١٠) . وقد قال أشرف الخلق وسيد البشر : « اقتدوا
بالذين من بعدى أبى بكر وعمر » (١١) وقال عليه الصلاة والسلام : « ومثلهم

(٧) سورة الأحزاب : ٣٣ .

(٨) سورة الفتح : ٢٩ .

(٩) سورة الفتح : ١٨ .

(١٠) سورة الأحزاب : ٢٣ .

(١١) أخرجه الترمذى (١٠ / ١٤٩) ، والبغوى فى شرح السنة (٣٧٨٧) ، وانظر مشكل

الآثار للطحاوى (٢ / ٨٣ - ٨٧) .

كَمَثَلِ الْمَلْحِ فِي الطَّعَامِ» (١٢) وقال من حديث يتشرف به السمع وتتشرف به
الصحيفة: « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدِهِم ولا
نصيفة» (١٣).

تَمَسَّكَ بِالْأَوَامِرِ مِنْ رَسُولٍ
كَرِيمٍ نَاشَرَ فَضْلَ الصَّحَابَةِ
وَلَا زَمَ حَبَّهْمُ وَاسْتَوْصَى خَيْراً
بِكُلِّ مِنْهُمُ وَارْفَعَ جَنَابَهُ
وَأَكْثَرَ مِنْ ثَنَائِكَ كُلِّ وَقْتٍ
عَلَيْهِمْ حَائِزاً أَجْرَ الْإِصَابَةِ

فمن أحسن الثناء عليهم برئ من النفاق ، ومن أحبهم أحرز في ميدان
الإيمان خصل السباق ، ومن تبعهم أدرك ما يروق مما يروم ، ومن اقتدى بهم
اهتدى لأنهم كما قال عليه السلام : « أصحابي كالنجوم » (١٤) . ومن قابلهم
بالعز حُظي في دار البقاء بالملابس الفاخرة ، ومن حفظ رسول الله فيهم

(١٢) انظر كشف الخفا (٢ / ٣٧٥) وعزاه لابن المبارك في الزهد (٥٧٢) ولأبي يعلى

(١٥١ / ٥) وقال : فيه إسماعيل بن المكي ضعيف انفرد به عن الحسن البصري .

(١٣) أخرجه مسلم (٢ / ٢ / ١٦٦) من حديث أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحداً أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ

أحدِهِم ولا نصيفه » ، وأخرجه أحمد (٣ / ١١) ، ومسلم (٤ / ١٩٦٧) ،

والبخاري (٣٦٧٣) ، وأبو داود (٢ / ٢٦٦) ، والترمذي (١٠ / ٣٦٣) من حديث

أبي سعيد الخدري . والنصيف بمعنى النصف .

(١٤) عزاه في كشف الخفاء (٣٨١) إلى البيهقي والديلمي والحديث حوله كلام ، وانظر

مجمع الزوائد (٧ / ٢٠٢ ، ٢٢٣) .

حفظه الله فى الدنيا والآخرة ، فضلهم الله بصحبة سيد المحسنين والمجملين ،
واختارهم على العالمين سوى الأنبياء والمرسلين .

أصحاب هادى الورى قومٌ لهم شرفٌ

بالقربِ منهم خصوصاً أول العشره

جاءوه واستمعوا ما قال واتبعوا

وبايعوا تحت أغصانٍ من الشجره

يكفيهم أن خير الرسل أكرمهم

وأنهم أفضل الأخيار والبرره

منى عليهم سلامٌ طيبٌ أرج

ما أظهر البحر من قاموسه درره



فصل

فى زياره قبره^(١) وتعظيم مواعنه ﷺ

زياره قبر النبى ﷺ سنة جميلة ، أجمع المسلمون عليها ورغبوا فيما لديها من الفضيلة ، فمن زاره بعد وفاته ، فكأنما زاره فى حال حياته ، ومن زار قبره دخل فى جواره المنيع ، وكان فى شفاعته يوم لا حميم يطاع ولا شفيع ، ومن أقام بمدينته طيبة حظى بطيب ثراها ، ومن مات بها ظفر بشفاعة مَنْ به كثر ضيفها وقراها ، وأقصد مسجده الذى تشدُّ الرِّحال إليه ، وفز بزيارته والسلام عليه وعلى صاحبيه ، ولا ترفع صوتك فى مسجده ، وكن ممن ظهر فى الأدب حُسن مقصده ، وأتبع السلف الصالح فى تعظيمه ، وبالغ كما بالغوا فى إجلاله وتكريمه ، وتبرَّك بروضته ومنبره ومواطن قدميه ، وشرفَ نظرك بمكانٍ جبريل ينزل فيه بالوحى عليه .

زر قبرَ مَنْ شمس الضحى عدله

لما بدت ولىَّ ظلام الشططُ

كيما ترى نفسك فى روضةٍ

فى أرضها زهر القرى يلتقطُ

(١) انظر أقوال العلماء فى تلك المسألة فى: السيرة الشامية (١٢ / ٣٨٠) ، والشفاء (٨٣ / ٢) ، ومثير الغرام الساكن لابن الجوزى (ص ٤٨٦) بتحقيقنا ، وشفاء السقام للسُّبكيّ ، والصارم المنكى ، وفتح البارى (٣ / ٧٩) ، ووفاء الوفا للسُّمهورى (ص ١٢٣٦) .

واهرع إلى طيبة تلك التى

جود أبى الطيب فيها انبسط

وانزل بها فى مسجدٍ منجدٍ

جبريل فى أرجائه كم هبط

يا له مسجداً أسس على التقوى ، ومعبدًا أفلح من تمسك بسببه الأقوى ،
فيه روضة من رياض الجنة ، ومنه انتشرت أعلام الكتاب والسنة ، وفيه بقعة
هى أفضل البقاع فى الأرض^(٢) ، كيف لا وقد ضمت أعضاء الشفيع المُشفّع
يوم العرض ، وأكثر من الصلاة فى نواحيه تحظ بالنعيم والإنعام ، فصلاة فيه
خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، لأنه مسجدٌ وافر المآثر ،
زاهر المشاعر ، صالح المناسك ، واضح المسالك ، عميم النعمة ، عظيم
الحرمة ، شريف المواقف ، مطهر للطائف والعاكف ، مرفوع القواعد ثابت
الأساس ، جعله الله أماناً ومثابة للناس ، نامى البركات وافى التعظيم ﴿ فيه
آياتٌ بيناتٌ مقامُ إبراهيمَ ومن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾^(٣) بنص العزيز الجبار ، ومن
حجّه ثلاث حجج حرّمه الله على النار^(٤) ، واجتهد فى تقديس مشاهدته ،
 وإقامة شعائر مساجدة ، وتعهد معالمه ومعاهدته ، وتطهير مواقفه ومعابده ،
 وتشريف أماكنه المكيّة ، وتمجيد مواطنه من مكة والمدينة .

(٢) محل الخلاف فى التفضيل بين مكة والمدينة فى غير قبره ﷺ ؛ أما قبره فأفضل البقاع
بالإجماع ، بل وذكر بعضهم أنه أفضل من الكعبة .

(٣) سورة آل عمران : ٩٧ .

(٤) ينظر من أخرجه إذ لم أعثر عليه فيما تحت يدي من مراجع وإن كان قد ورد كثيراً فى
كتب المناسك .

حُتَّ الْمَسِيرَ إِلَى نَحْوِ الْحِجَازِ وَلَا
تَقِفْ وَسَلِّمْ عَلَى عَرَبٍ بَدَى سَلَمٍ
وَانْزِلْ بِمَكَّةَ خَيْرِ الْأَرْضِ مَقْتَفِيًا
آثَارَ أَقْدَامِ سِرِّ الْكُونِ فِي الْقَدَمِ
وَاجْنَحْ لِكَعْبَتِهَا وَالْمُرُوتَيْنِ بِهَا
وَالْعَرَفِ مِنْ عَرَفَاتِ مَوْقِفِ الْأُمَمِ
وَالْحِجَرِ وَالْحَجَرِ السَّامِيِّ وَخَيْفِ مَنْى
وَكُلِّ مَوْضِعٍ نُسُكٍ حَلٍّ فِي الْحَرَمِ

أَكْرَمَ بِهَا مَوَاطِنَ عَمَرَتْ بِقَاعِهَا بِالْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ ، وَزَهَرَتْ رُبُوعُهَا بِتَرَدُّدِ
جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ، وَعَلَتْ بِهَيْبُوطِ الْمَلَائِكَةِ وَعُرُوجِهَا ، وَسَمَتْ بِقَمَرِهَا الطَّالِعِ
فِي الْأَفْلَاكِ بِرُوجِهَا ، وَتَنَسَّمَتْ بِالتَّلَاوَةِ نَفْحَاتِ أَسْحَارِهَا ، وَتَبَسَّمتْ بِالذِّكْرِ
ثَغُورَ زَهْوَرِ أَشْجَارِهَا ، وَأَشْرَقَتْ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ سَمَاوُهَا ، وَتَأَرَّجَتْ
بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ أَرْجَاؤُهَا ، وَضَمَّ رَغَامُهَا^(٥) أَعْضَاءَ سَيِّدِ الْبَشَرِ ، وَانْتَشَرَ
عَنْهَا مِنْ دِينِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا انْتَشَرَ ، وَيَا لَهَا مَدَارِسَ آيَاتِ ، وَمَرَكَزَ رَايَاتِ ،
وَمَسَاجِدَ صَلَوَاتِ ، وَمَنَازِلَ الْبَرَكَاتِ الْوَافِرَةِ ، وَمَحَلَّ الْمَعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ ،
وَمَنْشَأَ السَّرَاجِ الْمُنِيرِ ، وَدَارَ هَجْرَةِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ ، وَمَهْبِطَ غِيثِ الرِّسَالَةِ ،
وَمَوْطِنَ مَوْضِحِ الدَّلَالَةِ ، وَمَطْلَعَ فَجْرِ النُّبُوَّةِ ، وَمَعْدَنَ الْفُتُوى وَالْفُتُوةِ ،
وَمَنَاسِكَ الْحِجَاجِ وَالْمَعْتَمِرِينَ ، وَمَحْطَ رِحَالِ الْأَمْرِينَ وَالْمُؤْتَمِرِينَ ، فَجَدِيرَ بِهَا
أَنْ تَحْتَرَمَ جُدْرَانُهَا ، وَتَسْتَلِمَ أَرْكَانُهَا ، وَيَرْفَعَ مَقَامُهَا ، وَتَنْشُرَ أَعْلَامُهَا ،

(٥) الرُّغَامُ : التُّرَابُ .

ويحمي حماها ، ويرعى ماؤها ومرعاها ، ويُستاف عَرَفَ روضتها ، وتُغفَرُ
الوجنات في جنات تربتها .

طوبى لمن يأتى لمكة لائذاً
بمشاعرٍ جَلَّتْ عن الأوصافِ
ويُعْظَمُ البيت العتيق مجدداً
فيه برود السعى والتطوافِ
ويسير كى يحظى بساكن طيبةٍ
ويواصل الإعناق^(٦) بالإيجاف^(٧)
ويقبل الأحجار من حجراتها
حباً لمن يرتاح للأضيافِ
أعنى رسول الله كشَّاف العنا
ذا العدل والإحسان والإنصافِ
صَلَّى عليه الله ما سقت الثرى
عين الغمام بدمعها الوكَّاف^(٨)



(٦) العَنَقُ : ضرب من السير فسيح سريع ، للإبل والخيول .

(٧) الإيجاف : ضرب من السير السريع .

(٨) الوكَّاف : يقال وكف الدمع : سال وقطر قليلاً قليلاً .

فصل

فى الصلاة عليه ووجوبها وفضلها ﷺ

الصلاة على رسول الله ﷺ واجبة فى الجملة^(١) ، فليأت بها من آمن به واتخذة للهداية قبله ، وليكثر فى غالب أوقاته منها ، وليواظب عليها ولا يَغْفُل عنها ، خصوصاً يوم الجمعة من كل أسبوع ، فقد ورد الأمر به عن أوس فى حديثه المرفوع^(٢) ، ومن العلماء من أوجبها فى الصلاة ومنهم من استحباها فيها على ما رآه^(٣) ، ومن سأل الله شيئاً فليبدأ بحمده والثناء عليه ، ثم ليُصَلِّ على من تحرك الساكن ونطق الصامت بين يديه ، فهو أجدر بنجح المقال ، وأحرى بالإجابة للسؤال ، والدعاء بين الصلاتين عليه لا يُرد ، ولا يُطرد عن باب القبول ولا يُصد^(٤) ، وما من دعاء إلا وهو دون السماء

(١) قال ابن حزم وأبو بكر الرازى الحنفى والقرطبى المفسر وغيرهم : لا خلاف فى أن الصلاة عليه فرض فى العمر مرة ، وأنها واجبة فى كل حين وجوب السنن المؤكدة ، ولا يغفلها إلا من لا خير فيه .

(٢) ونص حديث أوس بن أوس عن أبى أمامة أن النبى ﷺ قال : « أكثروا من الصلاة على فى كل يوم جمعة ، فإن صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم على صلاة كان أقرب منى منزلة » وانظر جلاء الأفهام (ص ٢٢٧) ، والسيرة الشامية (١٢ / ٤٤٤) . ولعل الحكمة من إكثار الصلاة عليه فى يوم الجمعة أنه أفضل أيام الأسبوع .

(٣) انظر آراء العلماء فى تلك المسألة فى جلاء الأفهام لابن القيم (ص ١٨٠ - ٢٠١) وهو كلام نفيس ..

(٤) ذكر ابن القيم ثلاث مراتب للصلاة على النبى ﷺ عند الدعاء ، إحداها : أن يصلى عليه قبل الدعاء وبعد حمد الله تعالى ، وثانيها : أن يصلى عليه فى أول الدعاء وأوسطه وآخره ، وثالثها : أن يصلى عليه فى أوله وآخره ويجعل حاجته متوسطة بينهما .

محجوب ، فإذا اقترن بالصلاة عليه صعد وسعدَ بالمطلوب ، ومواطن الصلاة عليه : عند ذكره^(٥) ، وحين سماع اسمه وحديثه النامى دُرُّ بحره ، وفي الأواخر من الكتب بعد الأوائل ، ولدى الآذان^(٦) ودخول المسجد^(٧) وفي الرسائل ، وفي تشهد الصلوات وعلى الجنائز^(٨) ، والمكثر من الصلاة عليه بالقدح المُعلّى فائز ، فرغم^(٩) أنف امرئٍ لم يُصلِّ عليه إذا ذكر عنده ، وحسب المصلى عليه أن الملائكة تستغفر له وتشكر قصده .

صَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْوَرَى تَفْلَحُوا

فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

وَاسْتَكْثَرُوا مِنْهَا تَنَالُوا الْبَقَا

فِي جَنَّةٍ رَوْضَتُهَا نَاضِرَةٌ

(٥) أوجبها الإمام الحليمي والإمام الطحاوي ؛ وقال غيرهما : ذلك مستحب وليس بغرض يأثم تاركه (انظر جلاء الأفهام ص ٢١٤ - ٢٢٣) .

(٦) روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا علىّ فإن من صلّى علىّ صلاة صلّى الله عليه بها عشرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة . . . » .

(٧) روى النسائي وابن ماجه عن أبي حميد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي ﷺ ثم ليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك » .

(٨) لا خلاف في مشروعيتها فيها ، واختلف في توقف صحة الصلاة عليها ، قال الشافعي وأحمد - رحمهما الله - في المشهور من مذهبهما : أنها واجبة ولا تصح الصلاة إلا بها . وقال مالك وأبو حنيفة - حمهما الله - : تستحب وليست بواجبة ، وهو وجه لأصحاب الشافعي (جلاء الأفهام ص ٢٠٤) .

(٩) رَغِمَ : لصق بالتراب وهو الرغام وهو كناية عن حصول غاية الذل والهوان . وقال ابن الأعرابي : هو بفتح العين : أى ذل .

رَبُّ الْعَالَا صَلَّى عَلَيْهِ كَمَا

قَدْ جَاءَ فِي آيَاتِهِ الْبَاهِرَةِ

وَالْأَمْرَ مَعْرُوفَ بِهَا ظَاهِرٌ

وَالْعَرَفُ مِنْهَا رِيحُهُ عَاطِرُهُ

وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ صَلَاةُ صَلَى اللّٰهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ
خَطِيئَاتٍ ، وَصَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ حَيَّاهُ السَّلَامُ
بِالسَّلَامِ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ كُفِيَ وَغُفِرَ ذَنْبُهُ ، وَنَجَا مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ
الْآزْفَةِ وَكَرَّرَ عَنْهُ كَرْبَهُ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ فِي كِتَابٍ فَازَ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ ، وَلَمْ
تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا بَقِيَ اسْمُهُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ^(١٠) ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ
عَشْرًا فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً ، وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ تَمْحُو مَا أَسْلَفَهُ الْمُصَلِّي مِنَ الذُّنُوبِ
وَإِكْتَسَبَهُ ، وَالْمَكْثَرُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ
يَسْلَمُ عَلَيْهِ إِلَّا رَدَّ اللّٰهُ رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ سَلَامَهُ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ عِنْدَ قَبْرِهِ
الْكَرِيمِ سَمِعَهُ^(١١) ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ يُؤْتَى إِلَيْهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ ، وَلِلّٰهِ مَلَائِكَةُ
سَيَّاحُونَ تَبْلُغُهُ السَّلَامَ عَنْ أُمَّتِهِ ، وَالْيَوْمُ الْأَزْهَرُ وَاللَّيْلَةُ الزَّهْرَاءُ يُؤْدِيَانِ إِلَيْهِ
صَلَاةُ أَهْلِ مِلَّتِهِ^(١٢) ، فَأَكْثَرُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَإِنَّهَا مَفْرُوضَةٌ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ

(١٠) قَالَ السَّخَاوِيُّ فِي مَسْنَدِهِ مِنْ أَتَاهُمْ بِالْكَذِبِ . وَقَالَ الذَّهَبِيُّ : أَحْسَبُهُ مَوْضُوعًا . وَقَالَ
ابْنُ كَثِيرٍ : لَيْسَ هَذَا الْحَدِيثُ بِصَحِيحٍ ، وَقَالَ الشُّوْكَانِيُّ فِي الْفَوَائِدِ الْمَحْمُوعَةِ : رَوَى مِنْ
طَرِيقٍ ضَعِيفَةٍ جَدًّا (ص ٣٢٩) .

(١١) عَزَاهُ فِي « جَلَاءِ الْأَفْهَامِ (ص ٢٢) إِلَى أَبِي الشَّيْخِ فِي كِتَابِ « الصَّلَاةِ » وَقَالَ : غَرِيبٌ
جَدًّا . انْظُرِ الْفَوَائِدَ الْمَحْمُوعَةَ (٣٢٥) وَلَهُ شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ فِي اللَّأَلِيِّ .

(١٢) عَزَاهُ فِي السِّيَرَةِ الشَّامِيَةِ إِلَى (١٢ / ٤٤٤) إِلَى ابْنِ بَشْكُوَالٍ فِي كِتَابِهِ « الصَّلَاةُ النَّبَوِيَّةُ »
وَقَالَ : سَنَدُهُ ضَعِيفٌ . وَعَزَاهُ أَيْضًا لِلْبَيْهَقِيِّ .

حيثما كنت فإن صلاتك عليه معروضة ، والبخيل من ذكر عنده فلم يصل
عليه ، صَلَّى الله عليه وأنزله المنزل المقرب إليه .

إذا أنت أكثر الصلاة على الذى

هداك إلى الإسلام فزت بقربه

وكنت به أولى من الناس كلهم

ونلت ثواباً وافراً عند ربه

فصل عليه ثم ثن بآله

أولى الفضل والتقوى وثلك بصحبه

وسلم عليهم فالسلام من الفتى

يؤدي إلى غفران سائر ذنبه

اللهم اجعل أفضل صلواتك ، وأكمل تحياتك وبركاتك ، على محمد
أمينك المأمون ، وسادن علمك المخزون ، وشهيدك يوم المحشر ، ورسولك
إلى الأسود والأحمر ، والصادق فيما نطق ، والخاتم لما سبق ، والهادى من
الأضاليل ، والدامغ رؤوس الأباطيل ، والذى كان حافظاً لعهودك ، وواقفاً
عند حدودك ، قاضياً بأحكام وحيك ، ماضياً على نفاذ أمرك ونهيك ، حتى
أورى القبس^(١٣) ، ومحا آية الغلَس ، وأوضح الأعلام ، ومهد قواعد
الإسلام ، اللهم آته الوسيلة والفضيلة ، وأنله الدرجة العالية الجليلة ، وابعته
المقام المحمود ، وأنجز فى القيامة له الموعد ، وأكرم مثواه ونزله ، وحقق من
فضلك العظيم أمله ، وصرفه فى المعادن من عدتك ، وضاعف له الخير بمنك

(١٣) القبس : النار .

وَيُؤْمِنُكَ ، وَتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ الْكُبْرَى ، وَبَلِّغْهُ بِنَظَرِكَ إِلَيْهِ نَهَايَةَ الْبُشْرَى ، وَفَجِّرْ لَهُ
عَيُونَ عَنَّايتِكَ تَفْجِيرًا ، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَصْحَابِهِ ،
وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَخَاصَّتِهِ وَأَحْبَابِهِ ، وَعَلَى الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ
لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، صَلَاةً مَقْرُونَةً بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْضِيلِ ، مُشْتَمِلَةً عَلَى التَّكْرِيمِ
وَالْتَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّبْجِيلِ .

يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ يَا مَنْ لَهُ
ظِلٌّ عَلَى مَنْ يَرْتَجِيهِ ظَلِيلٌ
يَا مَعْدِنَ الْجُودِ وَبَحْرَ الْوَدَى
يَا صَاحِبَ الْقَدْرِ النَّبِيَّ النَّبِيلُ
يَا مَنْ إِذَا مَا أَمَّهُ قَاصِدٌ
يَلْقَاهُ بِالْوَجْهِ الْجَلِيِّ الْجَلِيلُ
كُنْ لِي شَفِيعًا فِي ذُنُوبِي فَقَدْ
أُلْقِيْتُ مِنْهَا تَحْتَ حِمْلِ ثَقِيلٍ
وَانْظُرْ لِحَالِي وَاسْقِنِي شَرْبَةً
مِنْ حَوْضِكَ الْحَالِي تَرَوِي الْغَلِيلُ
إِنِّي تَطَفَّلْتُ عَلَى مَادِحِي
وَصِفْ مَعَالِيكَ الْأَثِيرَ الْأَثِيلُ

إِذْ قُلْتُ فِي مَدْحِكَ مَا قَلْتُهُ
وَهُوَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ جَزِيلٌ
فَاقْبَلْهُ مِنِّي وَأَنْلِنِي بِهِ
جَائِزَةً حَائِزَةً لِلْجَمِيلِ
فَضْلِكَ لَا يَحْصُرُهُ وَاصِفٌ
إِنَّ الدَّرَارِي حَصَرَهَا مُسْتَحِيلٌ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَا
وَالْعَرْشِ مَا هَبَّ النَّسِيمُ الْعَلِيلُ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى فَضْلِهِ
وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ

نجز إملاء قلم الكاتب ، وانتهى مسير « النجم الثاقب » ، بتيسير من
أرشد إلى المعرفة وألهم ، وتوفيق من علّم الإنسان ما لم يعلم ، عليه توكلت
وإليه أنيب ، وهو المسئول في بلوغ المأمول إنه قريب مجيب .

قال مؤلفه عفا الله عنه : بدأت في إنشائه يوم الأربعاء ثالث جمادى
الآخرة سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، وفرغت منه يوم الأحد مستهل شوال
من السنة المذكورة ، والحمد لله ربّ العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً
عليه كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لعزّ وجهه وكرم جلاله (*) .

(*) وكان الفراغ من كتابة هذه الحواشي ليلة الجمعة المباركة لست وعشرين خلون من شهر
ربيع الآخر سنة ١٤١٦ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، على يد العبد
الفقير المقر بالذنب والتقصير مصطفى بن محمد بن حسين الذهبي غفر الله له ولواليه
ولإخوانه من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً .

الفهارس الفنية

- * فهرس الآيات القرآنية .
- * مصادر التحقيق .
- * الفهرس الموضوعي .

فهارس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾	البقرة	١٨	١٢٤
﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ ﴾	البقرة	٤٢	١٣٦
﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	البقرة	٢٥٣	٢٧
﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾	آل عمران	٩٧	١٥٣
﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾	آل عمران	١٣٢	١٣٦
﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	النساء	٥٩	١٣٧
﴿ وَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾	النساء	٦٤	١٤٦
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ ﴾	النساء	٨٠	٢٥
﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ ﴾	المائدة	١٥	٢٥
﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ ﴾	المائدة	٦٧	٢٧
﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾	الأنفال	٣٣	٢٧
﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾	الحجر	٧٢	٢٦
﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ فِي سَكَرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	الإسراء	١	٦١
﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾	الأنبياء	١٠٧	٢٥
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً ﴾			

١٣٧	٦٣	النور	﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾
١٣	٢١	الأحزاب	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾
١٤٦	٢٣	الأحزاب	﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾
١٤٦	٣٣	الأحزاب	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾
٢٧	٥٦	الأحزاب	﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ ﴾
١٢٧	٦٣	الزمر	﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾
١٤٦	١٨	الفتح	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
١٤٦	٢٩	الفتح	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾
٢٦	٩	النجم	﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾
١٣٥	٧	الحشر	﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾
٢٨	٤	القلم	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
٢٦	٥	الضحى	﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾
٢٧	٣	الكوثر	﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

مصادر التحقيق

- * إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، للزبيدي ، دار الكتب العلمية ١٤٠٩ هـ .
- * الإحسان فى ترتيب صحيح ابن حبان ، لأبى الحسن على بن بلبان الفارسى ، مؤسسة الرسالة ، تحقيق ، شعيب الأرنؤوط ١٩٨٨ .
- * الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، تحقيق على محمد البجاوى ، مطبعة نهضة مصر ١٣٨٠ هـ .
- * أسد الغابة ، لعز الدين أبى الحسن على بن محمد الجزرى ابن الأثير ، كتاب الشعب القاهرة .
- * إعلام الساجد بأحكام المساجد ، لبدر الدين الزركشى ، طبعة أولى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- * الإصابة فى تمييز الصحابة ، لأبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار الجيل ، ١٩٩٢ م .
- * الأصنام ، لهشام بن محمد السائب الكلبى ، تحقيق أحمد زكى باشا ، دار الكتب المصرية ، ١٣٤٣ هـ .
- * أعلام النبوة ، للماوردى ، راجعه طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩١ .
- * الأعلام ، لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلى ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م .
- * إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون الشهير « بالسيرة الحلبية » للبرهان الحلبي ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨٤ هـ .
- * البداية والنهاية ، لإسماعيل بن عمر الدمشقى المعروف بابن كثير ، تحقيق أحمد فتيح ، دار الحديث ١٩٩٢ م .

- * البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الشوكانى بمطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٨ هـ .
- * تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ، إصدار وزارة الإعلام فى الكويت .
- * تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفورى ، دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ .
- * تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه ، لابن حبيب ، دار الكتب المصرية ١٩٧٦ م .
- * تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ، لأبى الحسن على بن محمد بن عراق الكنانى ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، وعبد الله محمد الصديق ، دار الكتب العلمية ١٤٠١ هـ .
- * الخصائص الكبرى ، للسيوطى ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الدكن ١٣٢٠ هـ .
- * الدرر فى اختصار المغازى والسير ، لابن عبد البر ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- * الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر ، القاهرة دار الكتب الحديثة ١٣٨٦ هـ .
- * دلائل النبوة ، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله دائرة المعارف بحيدر آباد ١٣٢٠ هـ .
- * دلائل النبوة ، للبيهقى أحمد بن الحسن ، تحقيق عبد المعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨ هـ .
- * الروض الأنف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، القاهرة ١٣٨٧ هـ .
- * زاد المعاد فى هدى خير العباد ، لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر الزرعى المعروف بابن قيم الجوزية ، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية ١٣٩٩ هـ .
- * سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ، لمحمد بن يوسف الصالحى الشامى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٢ هـ وما بعدها .
- * سنن ابن ماجه ، لأبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى البابى الحلبي القاهرة .

* سنن الدارقطني ، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي ، وبذيله التعليق المغني لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، صححه عبد الله هاشم اليماني ، دار المحاسن القاهرة ١٣٨٦ هـ .

* السنن الكبرى ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد الهند ١٣٤٤ هـ .

* السنن الكبرى ، للنسائي ، تحقيق د. البغدادي وسيد كسروي دار الكتب العلمية ١٤١١ هـ .

* السير والمغازي ، لمحمد بن إسحاق ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ١٣٩٨ هـ .

* السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٧٥ هـ .

* السيرة النبوية ، لابن حبان البستي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤٠٧ هـ .

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلي ، نشر مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

* شرح السنة ، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغدادي ، مطبعة دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢ م .

* شرح السيرة للخشني .

* شرح صحيح مسلم ، لمحي الدين يحيى بن شرف النووي ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ .

* شرح المواهب اللدنية ، للأزهرية ١٣٢٥ - ١٣٢٨ هـ .

* شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، لأبي الطيب محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي ، دار الكتاب العربي ١٩٨٥ .

* الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض ، دار الكتب العلمية .

* الشمائل المحمدية ، للترمذي ، القاهرة ١٣٤٤ هـ .

* طبقات الشافعية ، لابن قاضي شهبة ، عالم الكتب ، ١٤٠٧ هـ .

* عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٠ هـ .

عيون الأثر فى فنون المغازى والشمال والسير ، لمحمد بن محمد سيد الناس ، دار التراث ، المدينة المنورة ، ١٤١٣ هـ .

- * غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام - دائرة المعارف - حيدر آباد .
- * فتح البارى شرح صحيح البخارى ، لأحمد بن على بن حجر العسقلانى ، طبع الرئاسة العامة للإفتاء ، المملكة العربية السعودية الرياض .
- * كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، لإسماعيل بن محمد العجلونى الجراحى ، مكتبة القدس ، القاهرة .
- * كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة ، وكالة المعارف ١٩٤١ ، ١٩٤٣ م .
- * اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ، لجلال الدين أبى الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، دار المعرفة .
- * مختصر تاريخ دمشق ، لابن منظور ، دار الفكر ، ١٤٠٤ هـ .
- * مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبى عبد الله أحمد بن حنبل ، دار إحياء التراث العربى .
- * الموضوعات ، لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، ١٩٨٣ م .
- * النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لأبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ، دار الكتب المصرية بالقاهرة .
- * نهاية الأرب فى فنون الأدب ، لأحمد بن عبد الوهاب النويرى ، طبع منه بمصر ٣١ جزء .
- * النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير ، تحقيق طاهر الزاوى ، ومحمود الطناحى دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .
- * هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، لإسماعيل باشا البغدادى البابانى ، دار الفكر ١٩٨٢ م .
- * وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، لنور الدين على بن أحمد السهمودى ، تحقيق محمد محبى الدين ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٤ م .
- * الوفا بأحوال المصطفى ، لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت .

الفهرس الموضوعى

٥	تقريظ بقلم العالم الجليل بدوى طبانه
٦	مقدمة المحقق
٨	ترجمة المؤلف
١٤	وصف المخطوطة
١٥	منهج التحقيق
١٩	مقدمة المؤلف

فصول الكتاب

١٩	فصل فى فضله وعظيم قدره عند ربه ﷺ
٢١	فصل فى ثناء الله عليه فى كتابه العزيز ﷺ
٢٥	فصل فى مولده وشرف نسبه ﷺ
٣٤	فصل فى أوصافه ونعوته ﷺ
٤٠	فصل فى فصاحته وأدبه وحلمه ﷺ
٤٤	فصل فى جوده وكرمه ﷺ
٤٩	فصل فى حياته وأنسه ولطفه وشفقته ﷺ
٥٣	فصل فى وفائه وتواضعه وعدله ووقاره ﷺ
٥٧	فصل فى زهده وقناعته وعبادته ﷺ
٦١	فصل فى الإسراء به وعروجه إلى السموات ﷺ

٦٥ فصل فى تعظيمه وتكريمه يوم القيامة ﷺ
٦٩ فصل فى أسمائه وكناه ﷺ
٧٤ فصل فى معجزة القرآن الكريم
٨٠ فصل فى انشقاق القمر وحبس الشمس وتكثير الماء له ﷺ
٨٥ فصل فى تكثير الطعام ببركته ﷺ
٩٠ فصل فى كلام الشجر والحجر وطاعتهما له ﷺ
٩٥ فصل فى كلام الحيوان والجماد وطاعتهما له ﷺ
١٠٠ فصل فى كلام الموتى والأطفال وإبرائه ذوى العاهات ﷺ
١٠٦ فصل فى دعائه المستجاب ﷺ
١١١ فصل فى انقلاب الأعيان له ﷺ
١١٦ فصل فى إخباره بالكائنات والغيوب ﷺ
١٢٣ فصل فى عصمته من الناس ﷺ
١٢٧ فصل فيما جمع له من المعارف والعلوم ﷺ
١٣١ فصل فى خبره مع الملائكة والجن ﷺ
١٣٥ فصل فى وجوب الإيمان به وطاعته واتباع سنته ﷺ
١٣٩ فصل فى لزوم محبته ﷺ
١٤٣ فصل فى تعظيمه وتوقيره ﷺ
١٤٧ فصل فى محبته وآله وصحبه ﷺ
١٥٢ فصل فى زيارة قبره وتعظيم موطنه ﷺ
١٥٦ فصل فى الصلاة عليه ووجوبها وفضلها ﷺ

الفهارس الفنية

- ١٦٢ فهرس الآيات القرآنية
- ١٦٤ فهرس مصادر التحقيق
- ١٦٨ الفهرس الموضوعى لمحتويات الكتاب

مطبعة المِكنِي
المؤسسة السعودية بـمصر
٦٨ شارع الباسية - القاهرة ٠ ت: ٤٨١٧٨٥١